# رواية "تجربة في العشق"
# وتناصها مع الأمثال الشعبية

سلاّم سعيد

جامعة الجزائر

**Résumé :**

*Notre étude sur le roman intitulé "Expérience de la passion" et écrit par Tahar OUATTAR, se résume dans la recherche de quarante six proverbes auxquels l'auteur a recouru dans le but d'enrichir son propos. Nous avons fait des investigations sur leurs origines et avons passé en revue l'ensemble de leurs nombreuses versions. Puis, nous en avons donné les sens direct et indirect. Nous avons cherché à connaître le degré de respect dû par l'écrivain à ces para-textes, dans leur première origine, afin d'en sauvegarder le fond et la forme. Nous avons fait des investigations sur l'emploi partiel et insuffisant de ces proverbes pour en cerner les motifs et les justifications. Par le débat et l'analyse, nous avons montré les différentes utilisations de ces intertextes. Nous avons indiqué les endroits où l'auteur a réussi dans cette opération d'intertextualité, le sens se trouvant alors en adéquation avec les différentes situations des personnages, tout au long du texte, ce qui n'a pas manqué de donner au roman une autre forme esthétique. Nous avons aussi mis le doigt sur les endroits où l'auteur a échoué en indiquant les passages où ces détails du patrimoine ont été intégrés au texte d'une manière abusive et artificielle, eu égard aux différentes situations des personnages. Dans la conclusion, nous avons mis en exergue les plus importants résultats que nous avons pu dégager de cette étude.*

تحتوي رواية الطاهر وطار[1] "تجربة في العشق"[2] على مائتين وستٍّ وستين صفحة من الحجـــم المتوسط، وتشمل ثمانية عشر قسما أو فصلا، وهي تندرج ضمن مشاريع وطار التي طبعت[3]. وهي أطول رواياته، حيث قضى في كتابتها مدة ستّ سنوات[4]. والرواية تمتح من ذاكرة بطلها المستشار، وتصيغ مرحلة كاملة من عمر الجزائر، تمتد من الستينات إلى السبعينات، وهي مرحلة البناء الثقافي، والاجتماعي، والسياسي مع ما اعترى هذا البناء من طموحات وإحباطات ورغبات في الوصول إلى تحقيق أمجاد ذاتية على حساب ما هو وطني.

يستمد وطار أحداث روايته من تجربته كمثقف مع السلطة، ثم موقفه مع زملاء له يعرفهم، منهم الشعراء والأدباء ورجال المسرح، ومنهم الوزراء والرؤساء والزعماء، حيث يَدين من خلال شخصيات الرواية الذين لهم وجود في الحياة تهميش المثقف والاغتيال للعقل والفكر، وإلغاء كلّ مشروع ثقافي للمجتمع الجزائري الذي تمخّض في نهاية الأمر عن المأزق الذي فجّر أحداث أكتوبر 1988.

فمصطفى كاتب[5] الإنسان الفنان كان عضوا في خلايا جبهة التحرير الوطني، هو البطل الرئيسي للرواية الذي أبعد عن المسرح الوطني الجزائري في السبعينات بتهمة أنّه يساري ومشاغب، يُعيّن في وزارة التعليم العالي بفضل وزيرها محمد الصديق بن يحي كمنشط ثقافي بمديرية غير موجودة أصلا في الهيكل التنظيمي للوزارة وليس لها ميزانية، يعيش في أوج السلطة كمستشار لدى الوزير، ولكنها سلطة تهمّشه وتغرّبه، يقرأ جيّدا ولا يمارس قراءته سوى على مستوى الحلم والتداعي والتذكار والهذيان.

ومن فصل إلى آخر في الرواية يحاول الاحتماء بنفسه بما بقي في داخله من علاقات وعواطف وثقافة، وهو داخل واقع هشّ ومائع ينتهي به إلى ما يشبه دوران العاصفة إلى البداية، وبعد سنوات في الوزارة يستيقظ فيه الحنين إلى عالم المسرح ثم يسقط في عشق الزعيم الذي يصوّره في شكل عمود التلفون، وهذا العشق يتطوّر إلى حدّ التوحّد معه بالطريقة الصوفية توحدا كاملا، ويكتشف الحقيقة عندما يقرّر عمال البريد والمواصلات صبغ الأعمدة الهاتفية، ولكّن أحدهم يدفع رشوة كي لا يُصبغ عموده وبعدها يأتي السيد ليجد غرابا على كل عمود، وتنتهي تجربة الحبّ والعشق عند الغربان (أي المثقفين). ولعلّ عشق عمود الهاتف من قبل حضرة المستشار يرمز بشكل واضح إلى العزلة والوحدة وضغط التهميش وفقدان وسيلة الاتصال بين المثقف والسلطة التي ينهزم أمام جبروتها، ويكتشف المستشار المثقّف بأنه في نظر أفراد السلطة على مختلف مشاربهم لا يقبلون التعايش مع المثقف بدليل تجنّب الوزير استشارته لكونه غرابا أحمر أي مثقّفا شيوعيا. ويصطدم حضرة المستشار أو الرايس بهذا الواقع الذي يدفعه إلى طريق الجنون، ولكن يبقى العشق المتحدث عنه في الرواية هو في الجوهر هذه الحميمية العالقة بالوطن، فيلتحق بمنصبه الجديد كمستشار تلبية لنداء الوطن وحبًّا له على ما يمثل ذلك من الارتداد في نظر البعض المحيط به مثل "فجرية" رفيقة دربه ومعينته في ديمومة حياته، وكذلك العشق الجم للثقافة والفن كشكل تعبيري إنساني وتبقى صوفية العشق عنده فوق كلّ اعتبار.

يجمع وطار داخل الرواية بين الصوغ التقليدي ونمط الرواية الجديدة، ليخلق بذلك تجاورا محكما للشكل والمضمون على حد سواء. فالصوغ التقليدي يتجلّى في حالة سياق حدث في نوع من التسلسل

والامتداد بعيدا عن التقطيع في المقابل يتجسّد المسار التجديدي في هذا التوقيف الذي يُكسّر ببداية ما، ثم بتوقيف جديد، وعلى الأغلب داخل صفحة واحدة، وفصول الرواية يمكن وضعها كما صادف أي أنّه يمكن قراءتها بالتسلسل التصاعدي مثل التسلسل التنازلي وبدون أي تسلسل. فحضرة المستشار، الشخصية الرئيسية تتفكّك بدل أن تنمو، وعنصر التشويق لا يتمثّل في نمو الحدث وتشعّبه، وإنّما في البحث عن وجود حدث ما، يكون موضوع كتابة، وفي الوقت نفسه في التعمق في حالة الجنون للشخصية أو الهذيان المحموم الذي يوحّد بين متضادات متباينة هي عبارة عن مرجعيات سابقة، تداخل الصوفي بالسياسي والأسطوري بالفكري، ومن ثم حلول "فجرية" مثال الاستمرار والوجود المادي المعيش في "أولغا" الروسية مثال سعة أضلع حواء وقابليتها للعطاء والتي فيها البدء والمنتهى.

فالرواية هي خلاصة لعصر مجنون يمتدّ من أعماق التاريخ بمستوياته الأسطورية والتاريخية إلى شذرات حاضر يعيش على الرمز والأسطورة غير متغاض عن مسايرة ركب التطور العلمي الذي تقوم عليه الحياة.

**الرواية وتناصّها مع الأمثال الشعبية :**

نبيّن في البداية أن الهدف من استعمال مصطلح التناصّ (L'intertextualité) في هذه الدراسة هو لتجنّب المصطلح القديم "السرقات الأدبية" التي كانت تُطلق على كل من ينقل شيئا ويضمّنه أدبه من شعر وأمثال وأقوال فيُتّهم بالسرقة ويصبح محلّ ريبة وشك، ويتعرّض للامتهان والاحتقار، في حين إنّ هذه النظرة زالت في العصر الحديث، وقد أصبح التناص أو تفاعل النصوص الإبداعية الحديثة وتلاقحها مع غيرها من النصوص شيئا مرغوبا فيه.

ونقوم في هذه الدراسة باستخراج الأمثال الشعبية التي تنطوي عليها رواية "تجربة في العشق" والتي تضرب بجذورها في الأعماق، وتطفح بالسخرية والاستهزاء، وتكشف كثيرا من العيوب والعورات في الإنسان، كما ترشده إلى السلوك القويم وتهديه إلى الأخلاق الفاضلة، وهذا الجانب هو الذي سنتناوله بالبحث، كما أن الاهتمام سينصبّ أيضا على دراسة الأمثال في أصلها القديم الأول ثم استعمالها في نص الرواية وإستنتاج العلاقة أو القراءة الجديدة لهذه الأمثال في وضعها الجديد المحوّلة إليه، وهو ما يسمَّى بالتناص أو تداخل النصوص ببعضها عند الكاتب رغبة منه لتقوية نصه الجديد أو توسُّعا في القول بالإحالة على نصوص أخرى كأن يضيف إلى النص القديم شيئا، أو يغيّر وجهته ومقصده وإيقاعه ويمنح معانيه صياغة جديدة أخرى خاصة به. وسندرس الأمثال أو المتناصات (Intertextes) الواردة في ثنايا الرواية في جوانبها الإيجابية والسلبية، من حيث المحتوى والشكل، ومن حيث التوفيق في إدماجها داخل جسم الرواية وانسجامه مع بنياتها أو الفشل في ذلك.

1- **"قصْ الرَّاسْ تَنْشَف العُرُوق"**[6]: ومعناه هو أن المريض بورم أو بانتفاخ في الجلد أو نحوه يُشْفى بمجرد إستئصاله، وفي ذلك إشارة من الكاتب إلى أن الداء المزمن للدول المتخلّفة هو تبعيتها للدول الغربية عن طريق العملاء والأذناب المتوغّلين في أجهزة الأمن والسلطة والإدارة، وفي إتمام عملية إستئصالهم تُشفى الدول المتخلفة، وتتخلّص من التبعية. والمتناص (Intertexte) يُرشد إلى الرجوع إلى الطريقة البدائية في معالجة الأمراض الجسمية والتي لازالت صالحة حتى في معالجة أمورنا السياسية الحاضرة.

2- **"مَلّس من طينَك إذا ماجَا برْمَة يجِي كَسْكَاس"**[7]: المعنى الظاهر من المتناص هو الأمر بالاعتماد في صناعة الفخار على العجينة المحلية، وهي نافعة في أحد شيئين: إما قِدْر أو كسكاس. ويُروَى بصيغ أخرى كثيرة منها : **"خُذْ بَنْت الناس، إذا مَا جَات برْمَة تجِي كَسْكَاس"**[8]، أي الحثّ على الاقتران ببنات الأصول، فهنّ أكثر حفاظا على البيت وإن لم يكنّ كذلك فإنّهنّ يحفظن العرض، وقريب منه قول المثل : "ملّس من طِينَك يسْجَى لَك"[9]، يُقال لمن يعزف عن الزواج بالقريبة أو بمن تكون في مستواه الطبقي، أو وضعه الاجتماعي.

يسوق مستشار الوزير، بطل الرواية المتناص في حواره مع ذاته وهو يسترسل في تخزين مذكّراته وهمومه داخل آلة التسجيل، فيعتبرها بمثابة ابنة عم أمينة سرّه ورفيقة دربه التي تتحمّل همّه وتصون شرفه وعرضه في كلّ الأوقات.

3- **"من قلّة الوَالِي نقول للكَلْب يَا خَالِي"**[10]: ويُروي بصيغ أخرى كذلك[11]. تقوله المرأة ذات الأصول النبيلة التي تضطرّها الحاجة إلى التعامل مع اللئيم وكأنه أخو أمها أو أحد أقاربها، وذلك لتثير الشفقة على نفسها وتبعث الناس إلى العطف عليها وبخاصة تلك التي تكون بعيدة عن الأهل، أو التي فقدت أقاربها.

يستحضر مستشار الوزير المتناص في مونولوج مع نفسه عند استدعاء الوزير عبد الله البردوني اليمني[12] لتنوير أبناء الجزائر وتثقيفهم وما تبع ذلك من استنكار أعضاء إدارة الوزير الذين احتجّوا بأنّ الناس في بلد هذا الشاعر لا يزالون **"يرعون مثل الحيوانات أوراق شجر يسمّى القات ويبيعون الأسلحة الحربية في الساحات والأسواق، كما تُباع اللُعب والأواني البلاستيكية والأنعام"**[13]. وأنّ من سخرية القدر أن الجزائر بكل ثقلها

التاريخي وبكلّ مطامح شعبها والذي يودّ الخروج من دائرة التخلف إذا بهذا الوزير يستعين بمن هو أقلّ من الجزائر شأنا وتحضّرا، وهو على رأى المثل : "من قلّة الوَالِي انقُول للكَلْب يا خالي"، وعلى الرغم من وجود بعض الصفات الدنيئة في الشعب اليمني الشقيق فهو مثل بقية الأجناس البشرية الأخرى التي لا تخلو من نقائص، لا يليق أن يوصف بهذه الصورة المشينة ويطلق عليه هذا الحكم القاسي الذي يُشتمّ منه رائحة التحامل والحقد والكراهية، وخصوصا أنّ تبادل الزيارات بين الدول العربية يوطّد العلاقات ويحافظ على صلة الرحم ويحقّق وحدة الانتماء القومي قبل كل شيء، ويعطي لأفرادها دعما روحيا، بغض النظر عن التفاوت في المستوى الحضاري فيما بينهم أو حساب المنفعة المتوخّاة من هذا الاحتكاك والاتصال.

**4- "بيت من زجاج"**[14]: أصله هو : **"اللّي بَيتُه من زجَاج مايرميش النّاس بالحجارة"**[15]، أي أنّ الذي يملك منزلا جدرانه مبنية من مادة الزجاج فهو سريع التكسر ولا يقاوم الرشق بالحجارة، فعلى صاحبه ألاّ يفكر في رمي بيوت الآخرين بالحجارة حتى لا يتعرض للكسر. والمقصود أنّه يجب على الشخص الضعيف ألاّ يتعرّض لمن لا يستطيع دفعه ومقاومته فيسبّب لنفسه الضرر والخسران.

يستدعي الوزيرُ مستشاره إلى المكتب ليطلعه على تقرير الأمين العام للوزارة مع أعضاء إدارة مجلسه الذي ينتقد فيه فكرة دعوة عبد الله البردوني، ويعدّد له الجهات، والأجهزة الدولية المعارضة للتعريب في الجزائر ومن ضمنها جريدة العالم (Le monde) الفرنسية، فيقاطعه المستشار بأنّ مراسلها في الجزائر مثقّف ويعرف مكانة الشاعر البردوني في العالم العربي كلّه، ولا يتجرّأ على انتقاد استضافته من قبل الوزارة. فيدرك

الوزير من هذا الردّ ويقدّر أنّ هاتفه المصدر الذي يستقي منه المعلومات هشّ ومكشوف وهو بيت من زجاج، وأنّ ما يقدّمه من توضيحات وما يلخّصه تقرير الأمين العام المعارض لمقدم هذا الشاعر، هي أمور لا تخفى على المستشار مهما حاول إخفاء حقيقة معارضة الدعوة ورفضها.

يبدو تصرف الرّوائي في أصل المتناص واضحا، فبعد أن كان في الأصل يحثّ على عدم الاعتداء على من في مقدوره أن يردّ الاعتداء بالمثل، فإنّه أصبح في الرواية يدلّ على انكشاف خبايا الأمور واطّلاع الناس عليها عن طريق الوسائل التكنولوجية مثل الهاتف. وهو تحويل في محلّه باعتبار أنّ المتناص مادة خامًا مطواعة، لها قابلية مرنة يُعطيها الفنان الشكل المناسب الذي يسعى إليه والأبعاد التي يتوخّاها من التصرّف في تشكيل معناه من جديد.

5- "**مارَاءَ كَمَن سَمِع**"[16] : وهو يُقال باللغة العامية :"**اللّي شاف مرّة خير من اللّي سمع ميَة مرّة**"[17]، ومعناه أنّ الذي رأى شيئا بعينيه ليس كالذي سمع بأذنيه، وأنّ إصدار الأحكام تكون نزيهة وصائبة إذا اعتمدت على حاسّة البصر وليس السمع. مع شيء قليل من الاختلاف.

يعترف المستشار في مناجاة مع نفسه بوجود أوجه التقارب في المستوى الحضاري بين الشعبين : الجزائري واليمني ويبرر جهل بعض الناس بهذه الحقيقة لانعدام الزيارات الميدانية التي تحجب الشعبين عن بعضهما البعض، والاعتماد على ما يُسمع بالأذن من هنا وهناك، وهو شيء لا يعبّر عن الحقيقة، والمستشار يصحّح الفكرة الخاطئة للأمين العام للوزارة من خلال المتناص السابق: "**من قلّة الوَالِي نقُول للكَلْب يا خَالي**" فيصححه بإيراد معنى المتناص: "**ما راء كمن سمع**" لتخطئة فكرة الأمين العام السيئة عن هذا البلد الشقيق.

6- "**مَن يغِبْ عن الأنْظَار ينسَاهُ النّاسُ**"[18]: أي أنّ الذي لا تراه العين باستمرار لا يتذكّره أحد، ويصبح في طيّ النسيان من الأذهان. وقريب من هذا المعنى قول المتناص: "**اللّي بعيد عن العَيْن بعيد عن القَلْب**"[19]. ويضرب في عدم الوفاء ونسيان المرء صاحبه إذا كان بعيدا عنه لا يراه، فهو لا يذكر إلاّ من يقع عليه نظره، وتلك خلّة غير حميدة، وفي ذلك يقول الشاعر:

ومَن غَابَ عن العَيْن فقَدْ غَابَ عنِ القَلبِ[20]

يتحدث المستشار في حوار مع نفسه في أمر اليهود الذين على قلّتهم العددية يجثمون على صدر الأمة العربية بفضل الدعم غير المحدود الذي يلقونه من الغربيين الذين يحرصون على تثبيت وجودهم وتدعيمه حتى يبقوا في مواجهة العرب، وعدم التفكير في نقلهم إلى رقعة أخرى في العالم حتى يبقوا محطّ أنظاره ويشغلون الناس من حولهم باستمرار: لأنّ "من يَغِب عن الأنْظَار ينسَاهُ النّاسُ" كما يقول المتناص الصيني. يبدو تأثّر وطّار بالأيديولوجية الاشتراكية من خلال استلهامه للمتناص الصيني الذي أدرجه في الرواية، وكان بإمكانه أن يأتي بما يقابله في العربية من دون إحداث تغيير في سياق الرواية أو إحداث خلل في معناها لو قال: "البَعِيد عن العَين بَعيد عن القلْب" وهو أبلغ تعبيرا وأدقّ معنى من المتناص الصيني. ولعلّ الكاتب توخّى من ترصيع روايته به التنويع في الأفكار والتدليل على سعة الإطلاع على الثقافات الإنسانية وطول باعه فيها.

7- "**اللّي تَتْلَفْتُه اجْرِيه**"[21]: ينسب المثل إلى الذئب الذي يخاطب من يكون مطاردا وعلى وشك الوقوع فريسة للعدو، فينصحه بألاّ يضيّع الوقت في النظر إلى الخلف حتى لا يُمسك به. وهو يضرب في الحثّ على الإسراع في تنفيذ القصد وهذا متى كان الأمر لازما في عدم تضييع

الوقت. والمناسبة التي دعت المستشار أن يستشهد بالمتناص هو استشارته من لدن الوزير عن المرتبة الديبلوماسية التي ينبغي أن يُدرج فيها ياسر عرفات باعتباره ملكا أو رئيسا أو أميرا أو زعيما. فيتحدث المستشار مع نفسه عن إثارة توافه الأمور مثل الألقاب والتشريفات، والتفنّن في التشدّق بالخطب الرنانة والتغنّي بالمجد الغابر الذي أصبح لا يفيد، وهي أمور تناقض حكمة الذئب المشهورة آنفة الذكر، فالظرف يتطلّب من العرب أن يُحسنوا الإصغاء إلى بعضهم البعض، وأن يطبّقوا ميدانيا ما يرونه كفيلا بتحرير أراضيهم دون تضييع الوقت فيما لا يجدِي. فيدعو المستشار إلى التخلّي عن الانفعال العاطفي، وعدم محاولة علاج الأمراض العربية عن طريق الأقوال والخطب، بل مواجهة الواقع الحاضر ومقتضيات العصر بالأعمال النافعة والتطبيقات الميدانية الملموسة.

**8- "حَديث اللَّيْل زبْدَة يطلَع النهَار يذُوب"**[22]: يُقال برواية أخرى هي : **"كلاَم اللّيل مَدْهُون بزبْدَة يطلَع عِليه النهَار يسِيح"**[23]، أصله هو: **"كلام الليل يمحوه النهار"**[24]. أي أنّ بعض الناس غالبا ما يَعِدُون غيرهم بتحقيق بعض الأماني وغالبا ما تكون تلك المواعيد ليلا، أمّا حين يطلع النهار أو يحين وقت التنفيذ فلا يجدون لها أثرا، فكأنه كلام قيل بليل ثم بدّده النهار ومثله هنا مثل الأحلام، أو مثل الزّبدة عندما تصيبها أشعة الشمس تذوب.

عندما يخلو المستشار إلى نفسه ترد على خاطره مسألة الرّتبة الدبلوماسية التي ينبغي أن يوضع فيها ياسر عرفات، والتي استشاره فيها الوزير والتي بقيت معلّقة إلى أجل غير مسمّى وإذا حُلّت هذه الإشكالية في يوم ما وهو شيء يبقى مستبعدا، ككلّ كلام يُقال بليل مثل الزبدة التي سرعان ما تذوب عندما تطلع عليها الشمس. وهنا يتعرّض الكاتب

إلى موقف بعض القادة العرب من القضية الفلسطينية والذي يراه موقفا متذبذبا بحيث يتوقف على مجرد الأقوال دون الأفعال بل هو مجرّد وعود غير موفّى بها. وقد تصرّف الكاتب في أصل المتناص "**حَدِيث اللّيل يَمْحُوه النهَار**" حيث احتفظ بالجزء الأول منه "**حديث اللّيل**" وأضاف إلى جزئه الثاني "**يمحُوه النهَار**" بمثل شعبي آخر هو "**زبْدَة يطلَع النّهَار تذُوب**" وذلك للمغزى الدّلالي الذي يحمله المتناص وقدرته في تلخيص التجربة وتوضيحها، والتي تُغني عن كل تعليق. وهذا التعديل الذي أجراه الكاتب عليه بتحويله إلى تناص يضفي على حدث الرّواية شيئا من الجدّة في المضمون والبلاغة في الأسلوب.

**9- "اللّي اكلَ خرْفَان النّاس يحضَّر خَرْفَانه"**[25]: ويُصاغ بصورة أخرى هي: "**اللّي يَاكُل دجَاج النّاس يسَمَّن دجَاجُه**"[26] ومعناه أن الذي استفاد من مال غيره أو كرمه يهيء نفسه ويعدّها لتقديم ما هو أفضل، وإذا حاول التهرّب ممن أحسن إليه فيحذّره من مغبة ذلك السلوك ويندّد به.

يقدّم الوزير إلى المستشار وثيقة سرية تحتوي على أسماء من طلبة وطالبات وأساتذة شيوعيين وأماكن تواجدهم، وجداول اجتماعاتهم ومخططاتهم في الزحف على الأرياف الجزائرية، فيطلب منه أن يكشف له أمرهم، لأنّ الوزير يعرف أنّ مستشاره منهم، وأنّه سيتّصل بهم ويبلّغهم أمر هذه الوثيقة التي لا يعرفها إلاّ هو، وأنّ المستشار حسب الوزير، متّهم بتضلّعه في أمر التنظيم من قبل، فيذكّره بواجبه والاستجابة إلى من أحسن إليه، ويحذّره من التنصّل من المسؤولية إذا امتنع عن كشف حقيقة أمر هذا التنظيم، فيستشهد بالمتناص المذكور لتأكيد موقفه منه، وكأنّ الوزير يريد أن يضع المستشار أمام الأمر الواقع، ويمتحنه في أمر هذه الوثيقة التي تُعدّ حجّة ضدّه ليكشف حقيقة أمره. ولا يجد الكاتب

في التعبير عن هذا الموقف أحسن من هذا المتناص الدّال، بأسلوب رمزي، وبطريقة غير مباشرة، وهو ما ينبغي أن يُحتذى في كتابة التجارب الإبداعية المتعاملة مع عناصر التراث.

**10- "بقِّ والزمَان يلَقّي"**[27] : أصله : **"لا تَامَن في دار الأمَان، ولا تبدَّل زَهْو الدّنيا بالشقَاء، وبقِّ تبقَى، ولا بُد من الزمَان تَلْقَى"**[28]، والمعنى أن ما يفعله الإنسان من خير يدّخره لأيام الشدة فيتذكّر الناس خيره ويساعدونه، وقد يُقال لمن لا يتعظ بتغيّر الأحوال والظروف.

يواصل الوزير الإلحاح على المستشار في كشف أعضاء القائمة السرية للتنظيم الشيوعي سالف الذكر، لثقته فيه، لكنّ الأخير اعتبر الطلب استنطاقا بوليسيا فامتنع عن الإدلاء برأيه في الأمر، وتوقّع الوزير أن يتصل مستشاره بأعضاء هذا التنظيم فيما بعد، وأنّ الأيام القادمة ستؤكد هذه الحقيقة وينكشف الأمر. فنطق الوزير أمام المستشار بالمتناص للاعتبار، وتقدير الموقف وما يحدثه صمته من مفاجآت وعواقب قد لا تُحمد عقباها في المستقبل. وتبدو سعة اطّلاع الكاتب على التراث وتنّوع مصادره فيه، وقد أسعفه في تضمين بعض عناصره في إبداعه، وإصابته في ذلك على نحو ما فعل في هذا المتناص الذي هو مستوحى من قول الشاعر العربي القديم :

سَتُبْدِي لَك الأيَامُ ما كُنتَ جاهِلا  يَأْتِيك بالأَخْبَار مَن لَم تُزَوِّدِ[29]

**11- "جَوّع كَلْبَك يعسّ عليك"**[30]: أصله هو "جَوع كَلْبَك يَتْبَعَك"[31]، ويعني أنّ اللئيم كالكلب إذا حرمته الطعام والشراب تبعك، لأنّه محتاج إليك لعلّك تقدم له شيئا يسدّ به جوعه وعطشه، وهكذا فإنّ الرجل اللئيم عندما تذلّه وتُحوجه إليك يطيعك ويقبل عليك. والمتناص يُضرب في معاشرة اللئام وما يجب أن يُعاملوا به، وحرمانهم من توفير القوت للسيطرة عليهم.

في إحدى محطات النقل العمومي لاحظ المستشار تزاحم الناس الشديد على إحدى الحافلات وتسابقهم على ركوبها، ولعلّها الوحيدة الموجودة آنذاك. في حين أنه سمع أو قرأ أنّ عشرة ملايين من البشر في مدينة باريس بفرنسا، يظلّون راكبين بكل سعة. فأدرك سرّ تضييق الحكّام العيش على خلق الله في تعمّدهم ذلك. فأورد المتناص لتجلية هذه الحقيقة وفكّ لغزها.

يستغني الكاتب عن الفعل "**يتْبَعَك**" من المتناص الأصلي "**جوّع كلبك**" ويستبدله بجملة أخرى هي "**يعسّ عليك**"، وكأنّه يتوخّى صبغ المتناص بالصبغة الشعبية فاستعمل فعل"**عسّ**" بمعنى "**حرس**" عوض "**تبع**". والمعروف أن الحارس يكون أقلّ إخلاصا وموالاة لمن يحرسه من الحارس التابع في الغالب الأعّم؛ لأنّ الحارس التابع يُؤمن بمن يحرسه ويواليه. ويولّد الكاتب من المتناص الأصلي "**جوَّع كَلْبَك يتْبَعَك**" تناصا جديدا هو "**جَوَّع كَلْبَك يحْرس عليك**" بنيّة النيل من مكانة السلطة التي تستخدم أفراد الشعب كحرّاس لها وليسوا كأتباع وموالين، ومن أجل هذا التشديد الذي قصده الكاتب فقد حوّل المتناص الأصلي الذي يتكوّن من ثلاث كلمات "**جَوّع كَلْبَك يتبعك**" إلى تناص يتكوّن من أربع كلمات "**جوّع كَلْبَك يحْرس عليك**"، وفي ذلك تقليل من الجودة البلاغية للمتناص في صورته الجديدة داخل الرواية. وهذا التحويل في شكل المتناص يُطلق عليه التضخيم أو التمطيط.

12- "**رَأسُه فِي الطّين وهو يقُول أَقّين**"[32] : يُقال أيضا: "**فُلاَن رأسُه في القِبْلة وأستُه في الخِرْبَة**"[33] ويُروى بصيغ أخرى أيضا[34] وينطبق معنى هذا المتناص على الشخص الذي يعاني من متاعب وظروف قاسية، ويبدي عظمة كاذبة بحيث أنّه يُظهر نفسه بمظهر المرفه السعيد الذي لا يواجه أيّ مشكل.

تنشب مشاجرة في الحافلة التي يستقلّها المستشار بين امرأة ضايقها أحد الركّاب بدعوى الزحام الشديد فتدعو عليه بخلاء دار أمّه الهجّالة، وتطلب منه أن ينشغل بسرواله المبتلّ من الخلف عن الانشغال بالناس الآخرين ثم تصبّ عليه جام غضبها من خلال نطقها بهذا المتناص المخدش للحياء. وقد أجاد الروائي إدراجه في هذا المكان، حيث جاء متّسقا مع الحدث ومعبّرا عن أعماق الشخصية الناطقة به ذات الخلفية الشعبية.

**13- "الدَّاب يَرْكَب مُولاَه"**[35]: أصله: "**الداب رَاكب مُولاه**"، من العادة أنّ مالك الحمار يتّخذه وسيلة للنقل والركوب عليه، وفي هذا المتناص يكون العكس حيث إنّ الحمار هو الذي يمتطي ظهر مالكه ويصبح راكبا عوض أن يكون مركوبا. ويستعمل المتناص للتعبير عن انقلاب الموازين واختلال القيم والمفاهيم أو التعبير عن شدّة اضطراب الأمور واختلاطها بحيث لا يعرف لها ضابط أو مسؤول معيّن يكبحها. وقريب من هذا المعنى قول المثل الفصيح: "**اختَلط الحَابِلُ بِالنَّابِل**"[36]، وذلك أن يجتمع القُنّاص، فيختلط أصحاب النِّبال بأصحاب الحبائل، فلا يُصطاد شيء، ويُضرب في اختلاط الأمر على الناس فلا يعرفون وجه الصواب فيه.

يواصل المستشار حواره مع نفسه عن الزحمة في المدينة من خلال ما لاحظه في محطة الحافلات، وما جرى فيها من مشاجرات بين الركّاب بسبب الاكتظاظ على الرغم من قلّة عدد السكان. ويتساءل أحد الرّكاب عمّا يمكن أن يحدث لمدينة الجزائر من مشاكل لو بلغ عدد سكانها أربعة ملايين نسمة فقط. فيجيبه راكب آخر بالمتناص المذكور ملخصا فيه الوضع الذي ستؤول إليه المدينة في المستقبل. وقد وضعه

الكاتب في مكانه المناسب بصورة تلقائية وعفوية ليؤكّد الجوّ المحلّي ويكرّس الملامح الشعبية للشخصيات، ويكشف عن سلوكها وتصرفاتها من خلال حوارها. كما أنّه يعمّق الوّعي بالشخصية ويضفي عليها مسحة الصدق عبر جذورها المتغلغلة في أعماق البيئة المحلية، وفي هذا التوظيف لمسة فنية تثري محتوى الرواية.

14- "أَخْ، **يا مَعْزَة مَا فِيك حْليب**"[37]: ويُقال:"**كَشْ مَعْزَة مَافِيك حْلِيب**"[38]. كَشْ وأَخْ بفتح الهمزة وسكون الخاء: اسم فعل أمر لزجر العتر. يُقال فيمن يتملّق غيره حتى يستفيد من خدماته وبمجرد حصوله عليها يتنكّر له. وقريب منه قول الشاعر:

صَلَّى و صَامَ لأمرٍ كانَ يَطْلُبُه فَلمَّا قَضَاهُ فَلا صَلَّى و لا صَامَا[39]

تسمع إحدى النسوة في الحافلة المزدحمة راكبا كان واقفا خلفها يطلب منها أن تتقدّم قليلا إلى الأمام، فتجيبه في أعماقها تقول هذا بعد أن قضيتَ حَاجَتَك منّي، وكأنّي معزة جفّ ضرعُها وأصبحت لا تُدِرّ حليبا فتودّ استبدالها بأخرى. يكشف المتناص الأصول البدوية للشخصية الناطقة به، ممّا يؤكد حقيقة التروح الريفي الذي طبع حياة سكان المدن الجزائرية في عهد الاستقلال.

15- "**الفَم المُغلَق لا يدخُله ذُبَاب**"[40]: يُقال باللغة العامية: "الفم المزمُوم ما يدّخلو ذبّان"[41]. ويُروى بصيغ أخرى أيضا[42]. يُطلق على الثرثار الذي يُصْغِي إلى الأخبار التي تضايقه أو يستجيب للأشياء التافهة التي تثير سخطه، وهو دعوة للالتزام بالصمت والتحذير من الثرثرة وعواقبها الوخيمة وأنّ الذي لا يتدخّل في شؤون غيره لا يناله الأذى، وأنّ من يُطبق فمه ويسكت يدفع عن نفسه ما يكره سماعه ويتجنّب ما يضُرّه. وقريب

من هذا المعنى قول المثل الفصيح :"**إنّ البَلاَءَ مُوكَّلٌ بالمَنْطِق**"[43] و"**إيَّاك وأن يَضْرِبَ لسَانُك عُنُقَك**"[44].

تضيق إحدى الراكبات في الحافلة ذرعا بأحد الركّاب الذي يعيب عليها الخروج من البيت إلى الشارع، وركوب الحافلات، والرجال أولى بذلك، فتردّ عليه بأنّها هي التي تَعول أسرتها وهي التي إذا مكثت في البيت فمن ذا الذي يقف في الطابور الساعات الطويلة للحصول على البطاطس، وأنّها ليست ممن يعتمدون على المحسوبية في قضاء مآربهم مثله فيحذّرها بالتوقّف عن الثرثرة، والتمادي في توجيه النقد اللاّذع للسلطة والنظام وأنّها تعرّض نفسها بذلك للخطر، وينطق بالمتناص المذكور الغني بمغزاه الدِّلالي والمعبّر بأسلوبه البلاغي، والذي يغني عن كل شرح أو تعليق. وقد حاول الكاتب أن يفصّحه بتغيير كلمة "المغلوق" أو "**المزموم**" إلى "**المغلق**" وكلمة "**ذبان**" إلى "**ذباب**" وهو توظيف في محلّه من الناحية اللّغوية الشكلية، ولكنه لا يعبّر بصدق عن الشخصية الشعبية الناطقة به والتي تنطق باللغة العامية الدارجة في أغلب الأحوال.

**16- "صَالَح يَلْعَب، وصَالَح يرْشَم"**[45]: يُروى المثل أيضا "**احْمِيدَة اللعَّاب، احْمِيدَة الرشَّام**"[46]، ويعني أن كل لعبة تجري بين لاعبين تخضع لطرف ثالث محايد وهو الحكم الذي يسجّل نتيجة المنافسة ويُعيّن الفائز فيها، لكن صالح، اللاّعب الذي يتنافس مع لاعب أو لاعبين آخرين هو الذي يقوم مقام الحكم، فيسجل نتيجة المقابلة ويفرض نتيجتها لصالحه. ويُطلق المتناص على من يكون في موقع المسؤولية ولا يناقشه أحد فيما يسنّه من قوانين ويصدره من أحكام، فهو الخصم والحكم وهو الحاكم والمحكوم.

أثناء وجود السائق الخاص للمستشار في إجازة قصيرة[47]، يضطرّ هذا الأخير أن يستقّل حافلة النقل العام للذهاب إلى مقرّ عمله، وفي إحدى المرّات يصرخ أحد الرّكاب معلنا عن سرقة محفظة نقوده، ويعود باللاّئمة على نقابة الاتحاد العام للعمال الجزائريين التي عجزت عن فرض نظام الدوام في العمل لفترة واحدة في اليوم حتى لا يركب الحافلة مرتين في اليوم، وفي ذلك جهد ومشتقة ومصاريف باهضة، فيجيبه أحد الرّكاب مستهزئا بعقليته في الإيمان بهذه النقابة التي تمثل الحكومة، والتي تطبّق ما تقرّره وليس ما يقرّره العمال، ويستشهد بالمتناص المذكور للتعبير عن هذه الوضعية المتناقضة، وهو وصف في محلّه للإنسان الشعبي والصعوبات التي يصادفها في حياته اليومية.

17- **"رَبُّنَا يُعْطِي الفُول لَمن لاَ أَضْرَاسَ لَهُ"**[48]: يُقال في اللغة العامية: "الفول يروح لَلّي ما عَندوش اسنَانُو"[49]، ويُروى بصيغ أخرى أيضا[50]. المتناص يُطلقه المعوزون والفقراء على الأغنياء المدلّلين الذين نالوا ثروة لا يستحقونها، كما يُضرب في الشكوى من الشخص المحظوظ الذي لا يعرف استغلال ذلك، أو يُضرب فيمن يحصل على شيء ليس أهلاً له.

أثناء توصيل سائق الوزارة المستشار إلى مترله مساء، يتحدث في مونولوج مع نفسه عن المستشار وعن غباوته، بضميره الحّي ونزاهته والتزامه وامتثاله الوجداني للقانون، وهو بذلك يمثّل عرقلة وتضييقا على زملائه من موظفي الوزارة من أمثاله حيث يحدّ من استغلالهم وتطفّلهم، وهو يحسده على مركزه المرموق في الوزارة وهو منصب لا يُتاح لجميع النّاس. وقد فرّط في استغلال هذه النّعمة مثل الخالق يُعطي الفول لمن لا أسنان له. إنّ تحويل الكاتب لهذا المتناص من اللغة العامية إلى اللغة الفصحى فيه مجافاة للواقع وتشويه له، يقلّل من دوره كلمسة فنيّة تسهم في بناء الرّواية شكلا ومضمونا.

**18- "لا يَنْقُص القرْد سِوَى الوَرْد"**[51] : يُقال أيضا: **"مَا خَص القرْد غيْر الوَرْد"**[52] و**"خُوذ القرْد على مَالُو يرُوح المَال ويَبْقَى القرْد على حَالُو"**[53]. أي أنّ شكل القرد المعروف لا يمكن تجميله أو تحسينه إلى ماهو أفضل ولو وُضِعت له أجمل الزهور وأحلى الورود، وهناك متناصات أخرى تصبّ في هذا المعنى[54]. يُطلق على من هو قبيح ويعتقد أنّه جميل، أو تقوله المرأة التي ترى أنّ حالتها النفسية السيئة لا تستدعي التزيّن والاعتناء بجمالها، وقد يُقال في الشخص حينما يتخلّى عن الضروريات ويسعى للكماليات التي لا تنفعه، وقد يُقال على سبيل الشتم والتهكم من دميم الخِلْقَة يحاول التجمل.

بعد أن أوصل سائق الوزارة المستشار إلى مقرّ سكناه، ثم وهو في طريق عودته تمنّى أن يكون سائقه الشخصي الخاص به وحده فقط، حتى يتسنى له "أن يرميه أمام باب بيته، ثم يتحرّر، يفعل بها (السيارة) ما يشاء. تكفيه جولة في الأبيار، أو في حيدرة ليجمع ربع راتبه"[55]. ويستهين في قرارة نفسه بترعة المستشار الشيوعية وبمهنته الأصلية ويشكّ في أن يكون إطارا حقيقيا، فهو مثل قرد يعتقد أنّه جميل وهو "مجرّد مهرّجٍ بالمسرح، أحد صعاليك ساحة بور سعيد[56]، يُصبح مستشارا في مثل وزارتنا. كيف لا ينحطّ مستوى الأمور في هذه البلاد"[57]. المتناص الموظّف هنا يُجسّد الغيرة والحسد في أوساط الموظفين والعمال، وقد وضعه الكاتب في السياق المناسب ليعبّر عن الحدث الروائي بتشبيه بليغ يغني عن كل وصف أو تعليق.

**19- "دُخُول الحَمَّام، ليسَ مثْل خُرُوجه"**[58]: و يقال أيضا: **"دُخُول الحمَّام مُوشْ زَيّ طُلُوعُه"**[59]، والمعنى أنّ الدخول إلى الحمام شيء ميسّر ومتاح، وليس في الأمر صعوبة مثلما هو الحال في الخروج منه، لأنه

يستلزم الانتقال بين بيوته والتريث في كلّ بيت لاتّقاء مفاجأة البرودة بعد الحرارة، كما يُقال المتناص في كل أمر يكون الخروج منه أصعب من الدخول فيه.

يتصنّتُ المستشار في إحدى المرات إلى إحدى المتكلمات في الهاتف من فرنسا وهي تطلب من صديقة لها بالجزائر أن تُبلّغ بالنيابة عنها عشيقها السابق بأن يعترف بابنه الذي أنجبته ويتزوّجها وإلاّ ستخرّب بيته؛ لأنّها تعيش في الوقت الحاضر مع واحد ممن يُخيفون ويُرعبون. وتسوق المتناص مهددة ومتوعدة من ائتمنته في الماضي، والتنكر لعلاقته بها حاضرا، وهو يُغني عن كل تعليق أو تفصيل. ويبقى أن نقول إنّ المتناص الأنسب الذي يمكن أن يُعبّر حقيقة عن موقف المرأة المخدوعة والمغرّر بها هو أن يكون بلغة عامية وليس بلغة فصيحة.

**20- "الشَّرْكَة مَا فيها بَرَكَة"**[60]: أصل المتناص هو: "الشرْكَة هلكة ولو في مَكّة"[61]. ويُقال بروايات أخرى أيضا[62]. والمعنى المراد منه هو التحذير من الاشتراك مع الغير في العمل أو المشاريع المختلفة، إذ غالبا ما ينشأ عنه خلاف ونزاعات وتناحر، ولا يُجنى من ذلك إلاّ الوبال والخسران. فالمتناص يُوصي بعدم الشّركة؛ لأنّها لا تنجح ولو كانت بالأرض المقدسة.

يتصل أحد المشتركين مع الوزير في استيراد البقر من الخارج ليطلعه على الأخبار المتعلقة بهذه الصفقة. فيخبره الوزير بحصوله على الموافقة من قبل الجهات المسؤولة، ويعرض عليه أن يتنازل عن الاشتراك معه في هذه الصفقة وأن يأخذ في المقابل مائة مليون عن مائتي بقرة مستوردة، وهي تُقدّر بمليار سنتيم بحجة أنّ الفضل في الحصول على إذن الموافقة يعود إلى صداقته للهيئات المختصة من بعض الوزارات، وأنّ صداقة

الوزراء في النظام الاشتراكي تعني ما تعني، ويعرض الوزير على شريكه أن يأخذ مائة مليون سنتيم مقابل التنازل عن هذه الشُّركة وإلغائها؛ لانعدام البركة فيها ويسوق المتناص تدعيما لفكرته. وقد تصرّف الكاتب في المتناص الأصلي حيث اختصره من حيث اللّفظ إذ جعله في ثلاث كلمات عوض كلمتين، وأعطاه من حيث المعنى دلالة جديدة مختلفة عن المعنى الأصلي.

**21- "القَوْلُ مَا قَالَت حَذَام"**[63]: يُنسب المتناص لُلجَيْم بن صَعْب وكانت امرأته سديدة الرّأي يُعتدُّ بقولها، فقال فيها:

**إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوها فَإنّ القَوْلَ ما قَالت حَذَام**[64]

إنّ توقّعات انتصار المجاهدين الجزائريين في الثورة المسلحة على الجيش الفرنسي عند بعض الناس كانت صادقة وفي محلها حيث تحقّق النصر الموعود، وغادر المجاهدون الجبال للعودة إلى المدن تماما مثل ما كانت تتوقّعه حذام في الماضي الغابر. ويستحضر الكاتب هذه الشخصية على سبيل إقامة التماثل والمشابهة بين الماضي والحاضر.

**22- "العَقبَة التِي كانَتْ على الذئب صارت على السّلوقي"**[65]: أي أنّ الطريق الوّعرة هي التي يسلكها الذئب عند فراره من كلب الصيد، فيشبّه كلب الصيد بالاستعمار الفرنسي الذي كان يطارد الذئب أي الثوار الجزائريين المعتصمين بالجبال أثناء ثورة التحرير المسلحة حسب الوزير ومن قبله الاستعمار، وفي عهد الاستقلال ينعكس الأمر، إذ تصبح الطريق الصعبة على الذئب أي الثوار بالأمس سهلة عليهم اليوم، وفي هذا التشبيه شيء غير قليل من التعسف والسخرية وسوء التصوير، فكيف يُعقل أن يُوصف من كانوا بالأمس معتصمين بالجبال في سبيل مقاومة العدوّ ذيادا عن القضية الوطنية ذئابا، ومن كانوا محتلّين و غزاة

كلاب صيد، والكلاب أشرف من الذئاب وأنبل، وفي هذا تعريض وتنقيص من رجال المقاومة المدافعين عن حقهم في سبيل نيل الحرية والاستقلال، غير أنه يمكن أن يُغض الطرف عن هذا التشبيه في حالة ما إذا أدرجناه في باب يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره كما يقال.

23- **"كلاَب الدَّوَّار لا تَنْبَح في السُّوق"**[66]: يقال أيضا: "كل كلب في داره نبّاح"[67]. ويُروى بتعابير أخرى كذلك[68].

والمعنى الذي يشمل هذه الصيغ، هو أنّ الكلب لا يتحمّس في النباح ولا يتجرّأ على الغرباء إلاّ في عقر داره؛ لأنّ فيه من يحميه ويجبن خارجه، فكذلك الأمر بالنسبة لبعض الشيوعيين المناوئين للثورة حسب الوزير الذي يعتبرهم مثل كلاب الدوار الذين يحتمون ببعض المواقع، وينشطون فيها لوجود من يحميهم ويُبدون الجبن والمسكنة خارجها، ويهدّد مستشاره بتجريده من عضوية حزب جبهة التحرير الوطني إذا لم يكن حازما معهم. ولعلّ تسمية الوزير للشيوعيين بالكلاب في الرواية يبيّن مبلغ العداوة التي يكنّها لهم بعض أعضاء النظام والسلطة في ذلك الوقت.

24- **"ما للّه للّه، ومَا لقَيْصَر لِقَيْصَر"**[69]: يعنى أنّ هناك واجبات يؤديها المخلوق اتجاه خالقة كإقامة الشعائر الدينية وما شابهها من عبادات وطقوس تقربّه من مولاه، وهناك واجبات أو قوانين يفرضها الملوك والحكّام على الرعية من أجل استمرار الحياة بفضل أداء ما عليهم من واجبات اتجاه السلطة التي تتكفّل بتدبير شؤونهم بشكل جيّد، ولا ينبغي الخلط بين الأمور الدينية وبين الأمور الحياتية الدنيوية، وهذا ما يناجي به المستشار نفسه من خلال المتناص المذكور، وهو أنّ حياة الإنسان تتواصل بين أداء واجبات دينية اتجاه الخالق، وبين الالتزام المادي والتضامني مع أولي الأمر والسلطان، ولكّل طرف نصيب معلوم

يأخذه من المخلوق ويُلزمه بأدائه كاملا غير منقوص، فكذلك المستشار كان كلّما عاد من عمله اليومي الدنيوي ينصرف ليلا إلى أداء بعض الألحان على الوجه الصحيح، و هو في حالة توحّد و تعبّد وتفرّد وتصوّف وعشق حقيقي للمحبوب، فيعيد تنظيم الحياة من جديد لتتواصل في نسقها العادي.

**25- "جرَابَة صَافْيِين"**[70]: متناص تونسي، جرابة، نسبة إلى مدينة "**جربة**"[71] التونسية، وهم إباضيون[72] من الخوارج يشتهرون بالتجارة والاقتصاد وبالتقشّف والتقتير على النفس، وقد يُراد بهم أهل تونس عموما وهو من قبيل ذكر الجزء وإرادة الكل.

يبيّن الوزير لمستشاره عن طريق المتناص أنّهما من معدن واحد وأنّه لا فائدة من إخفاء هذه الحقيقة ومحاولة إنكارها على سبيل الرياء والنفاق. ويُشتم من المناص المتمثّل به من لدن الوزير تواضعا منه وتلطفا تجاه مستشاره ورفعا للكلفة وإدخالا للطمأنينة إلى قلبه ليتحدث إليه بحرية وراحة وصراحة. يعبّر المتناص بصدق عن عمق العلاقة القديمة الموجودة بين الرجلين، ويُغني بدلالته المعنوية الرواية ويدفع بأحداثها إلى النمو والتطور.

**26- "لَبَّسْ العُود يبَان"**–[73] : العُود، هو الحصان، والمعنى أن الحصان يكتمل جماله ويزداد حسنه وتعظم قيمته بالسرج الذي يُكتسى به فيزيد من بهاء منظره، وفي هذا المعنى يُقال أيضا :"**لَبَّس البُوصَة تَبْقَى عَرُوسَة**"[74] و"**لَبَّس الخَشبة تَبْقَى عَجَبة**"[75].

يصرّ المستشار وهو يحاور نفسه أن يكتب مسرحية العمر يكون عنوانها العلاقة بين الذات والموضوع أو على رأي المثل "**لَبَّس العُود يبَان**" أي أن تكون جميلة الصورة والشكل حتى يسهل على صديقته (أولغا)

الروسية أن تترجمها إلى لغات العالم وتنتشر في جميع أرجائه. ويكشف الكاتب عبر هذا المتناص عن إيديُولُوجيته الاشتراكية. كما يبيّن تأثره بالجاحظ[76] في الاحتفال بشكل النص ومظهره أكثر من غيره: "**أفكّر بالحرف، بدل أن أفكر بالأمل**"[77].

27- "**من لَحيتُه، افْتَل لُه شكَال**"[78]: يُروَى بصيغ أخرى مثل: "**من دَقْنُه فَتْلُوا لُه حَبْل**"[79] و"**من لحيْتُو بجَّرلُو**"[80] و"**من طَاسُه، ادْهَن لُه رَاسُه**"[81]، والمعنى الذي يشمل هذه الصيغ هو السّخرية بالرجل تُكرمه أو تقدّم له خدمة من صميم رزقه وحرّ ماله، فهو كالمريض تبخّر له تمائمه من شعر لحيته بالجاوي وغيره من العقاقير.

يروي المستشار قصة اكتشاف نقابة العمال بالوزارة شراء الوزير لمئات الأطنان من الصباغة الفاسدة من مصنع يملكه صهره والتي يُلقى بها فيما بعد في البحر، وبهذه الطريقة يدفع الوزير بسخاء ثمن الصباغة الفاسدة على حساب الدولة وليس من ماله الخاص، وعلى رأي المثل الذي يسوقه المستشار: "**من لحيته بَخَّر لُه**" كنقد لمؤسسات النظام الاشتراكي. وهو ينطبق على روح التسيّب والتبذير للمال العام دون مراقبة أو محاسبة صارمة والذي عرفه النظام الاشتراكي في عهد الجزائر المستقلة. يعبّر المتناص عن نفسية الإنسان الجزائري الذي تسكنه المتناصات وتضرب جذورها في أعماقه، ويستحضرها في مختلف المناسبات ويستخدمها بصورة تلقائية في شتى المعاملات كما هو الشأن بالنسبة لهذا المتناص.

28- "**العِرق دَسَّاس**"[82]: يُروى عن الرسول (ص) أنه قال: "**اسْتجيدُوا الخَال فإن العِرْق دَسّاس**"[83]. وهناك متناصات أخرى تصبّ في هذا المعنى[84]. العرق في اللّغة أصل كل شيء، دسّاس: أي دخّال، يترع أو يحنّ ويشتاق إلى أصله، والمعنى العام الذي ينطبق على هذه

المتناصات، هو أنّ الإنسان يشبه في خَلْقِه وخُلُقِه لأحد أجداده ولو بَعُدُوا، وأنّ طباع الأولاد الطيبة أو الخبيثة تتصّل بالآباء والأمهات.

تطوف بفكر المستشار صورة فجرية خادمته الزنجية التي تختلف عن أبويها ذوي البشرة البيضاء، فتصدم هذه الولادة الأب ويستغرب حدوثها في عائلته، حيث يبصق على فجرية وهي في القماط بالمستشفى، ويرتمي في أحضان الغربة. ويسوق المستشار عدة افتراضات في الموضوع: وهي إمّا أن يكون قد حدث غشّ في المستشفى أو اعتداء جنّ أسود على الزوجة وهي نائمة، أو قد يعود ذلك إلى أحد أجداد الزّوجين؛ لأنّ "العِرْق دَسَّاس". يعبّر الكاتب من خلال هذا المتناص عن اختلاط دماء الجزائريين بغيرهم من الشعوب والسّلالات، وأصبحت الجزائر تعاني من هذه الظاهرة وتبرز إلى الوجود في عهد استقلالها، ويعكس المتناص هذه الوضعية ويعطيها دلالة معنوية بليغة.

29- **"العَين بَصِيرَة واليَد قَصِيرة"**[85]: أي أنّ العين البشرية ترى أشياء مادية كثيرة تشتهيها ولكن طاقة الإنسان الجسمية المحدودة تعجز عن تحقيقها، والمتناص يُضرب فيمن ليس له القدرة على نيل الشيء أو الحصول عليه.

يذهب المستشار إلى مكاتب مديرية الثقافة بالوزارة، وأثناء انتظار معالي الوزير يلاحظ أن عيون موظفي المديرية مصوبة نحوه وكأنّها تعتذر له، وتقول إنّها تُقدّر صلابة موقفه وشجاعته في تحمّل المسؤولية مهما كلّفه ذلك من أمر، وأنّها عاجزة عن مساعدته في التهمة الموجهة إليه من قبل المسؤولين بتضلعه في التشويش وفي أعمال الشغب التي قام بها بعض المشاهدين أثناء عرضه لمسرحية **"دائرة الطباشير القوقازية"**[86] والذين كانوا يردّدون نشيد الشيوعية الأممية[87]. وينطبق على هؤلاء المتعاطفين

مع المستشار المتناص المُستقى من الحديث النبوي الذي يقول: "**مَنْ رَأَى منْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيدِهِ فَإِن لم يَسْتَطِع فَبِلِسَانه فإنْ لم يَستطِع فَبِقَلْبه وذلِك أَضْعَف الإيمَانِ**"[88] ولَعلّ القلب المقصود في هذا الحديث يمكن أن يكون مقابلا للعين في المتناص. وقد أبقى الكاتب على أصله في لفظه ومعناه، لتعبيره الدقيق عن الموقف ووصفه الشامل له.

**30- "الرَّاس اللّي مَا تَقطْعُو بُوسُو خِير"**[89]: ويُقال أيضا: "**اللّي ما تَقْدر عليه فَارقُه وإلاّ بوس ايده**"[90]. كما يُروى المتناص بصور أخرى أيضا[91]. أي إن كنت مغلوبا على أمرك مع شخص ليست لك قدرة عليه، فارقه وأرح نفسك وإلاّ فاخضع له واترك الشكوى ومحاولة ما لا يُفيد من مشاكسته، وهو يُضرب عموما في الحثّ على الطاعة والاستجابة لأوامر الرؤساء.

أثناء انتظار المستشار دوره لمقابلة معالي الوزير كما تقدّم يدخل زائر قاعة الانتظار ويتعرّف على المستشار، ويبدي إعجابه بعبقريته كما يشيد بالوزير ويذكر أنّ سيادته شعبي ونزيه وملتزم وسليل عائلة العلم والنضال. ولما طال انتظاره فضّل أن يؤجّل المقابلة إلى وقت آخر، وسأل المستشار فيما إذا كان له موعد مع الوزير، ولما أجابه بالإيجاب يتلّفظ بالمتناص مشجّعا له على إبداء آيات الودّ ومظاهر الطاعة لسمو الوزير حتى يتّقي شرّه. ينطبق المتناص على طبيعة الزائر المرائية، وتصرفاته المتملقة والمجاملة لذوي الجاه والسلطان، وهو نقد وُضع في محله داخل الرواية للتنديد ببوادر تفشّي مثل هذه الظواهر السّلبية الغريبة عن المجتمع الجزائري.

**31- "لاَحَال يدُوم"**[92]: أصل المتناص هو "**الدّنيَا فَانيَة، ولاَحَال يدُوم**"[93] ويُقال بصيغ أخرى كذلك[94]. والمعنى أنّه يستحيل أن تَبْقى

وضعية ما ثابتة على حالها وتستمر في الاستقرار من دون تغيير، وقد يُقال أيضا في عجلة الزّمن وسرعة مروره.

أثناء انتظار المستشار دوره لمقابلة الوزير كما تقدم، يتأثّر بمنظر فرّاش جناح الوزير الذي كانت عيناه "**تعتذران، تتحدثان عن البطولة، وغدر الزمان، وساعة الخلاص الموعودة، ومرارة الخبزة، وثقل الرأس من جرّاء الانحناء، وتشتّت الثوريين، أولئك الذين عرفوا وحدهم علقم الكفاح من أجل الاستقلال الوطني، وها هم اليوم فراشون في جميع الإدارات، ينحنون للخونة، ولأبناء الخونة والعملاء. ركبهم حمار اللّيل، كلّهم فصاروا يضربون في الظلمة**"[95]. يتعزّى المستشار ويجد سلوة لأساه أمام وضعية هؤلاء المجاهدين في المتناص الذي يَرِدُ على خاطره فيمن يعتقد تفوّقه لسبب من الأسباب حتى يتّعظ ويعرف نهايته التي لا يتميز فيها عن غيره، وهي التي تجمع بين الغني والفقير والقوي والضعيف من دون تمييز ويستوي لديها الجميع، ولا دوام لمخلوق مهما كان وزنه. وقد تصرّف الكاتب في أصل المتناص "**الدّنيا فَانِيَة، ولاَ حَال يدُوم**" حيث إنّه استغنى عن الجزء الأول منه: "**الدنيا فانية**" واستبقى جزأه الثاني: "**لاحَال يدُوم**" وذلك؛ لأنّ المعنى الذي يحمله الجزء الأول من المتناص موجود في جزئه الثاني فتجنب هذا التكرار وترك القارئ يستكمل تصور معناه في ذهنه، ويتجاوب معه ومع الشخصية الناطقة به ذات الخلفية الشعبية، وهو يدخل في باب الاختصار غير المخلّ لعناصر التراث.

**32- "تَبّع الكذّاب حتَى البَاب"**[96]: ويُروى المتناص بأشكال أخرى أيضا[97]، وهو يُقال في الشخص الذي ييأس من وُعود غيره، فينصح بتتبّعها إلى أن تظهر صحّتها أو عدمها، وتنكشف على حقيقتها في النهاية.

انتظر المستشار في مقرّ الوزارة كي يستقبله الوزير الذي رتّب له موعدا بسبب الشغب الذي أثاره بعض المتفرجين لعرض مسرحيته "**دائرة الطباشير القوقازية**" لبرتولد بريخت (Bertold Brecht)[98] ، فلاحظ من خلال عيني الفرّاش أن الوزير قد حضر، ويرفض أن يستقبله فيذكّره أمره بالكذّاب الذي يحاول أن يتستّر ويخفي حقيقة أمره وينكشف في نهاية المطاف، وهو ما ينطبق على الوزير الذي وعده باستقباله وينقضي النهار من دون أن يفي بوعده. يوجّه الكاتب من خلال المتناص نقدا لاذعا لأعضاء السلطة والنظام متّهما إياهم بالتجرد من الصدق في المعاملة، وإتباع سياسة الخبث والنفاق، وهو أسوأ ما يمكن أن يُوجه إليهم.

**33- "كِيفْ تجِي تجِيبْهَا شعْرَة، وكِيفْ ترُوح تَقْطَع سلاَسَل"[99]:**

وفي ذلك يقول الشاعر:

**إذا أقبَلَت كَادَتْ تُقَادُ بشَعْرَة وإذا أَدْبَرَتْ كادَتْ تَقُدُّ السَّلاَسِلا**[100]

كما يُقال بروايات أخرى كذلك[101]. من المعروف أنّ محاولة تنفيذ مشروع ما في الحياة قد ينجح إذا توفرت عوامل نجاحه وقد يفشل إذا انعدمت، كما أن الدنيا إذا أدبرت وولت ذهبت بكل شيء ولو كان محوطا بسلاسل من حديد قطعتها و لم يمنعها عنه مانع.

يخبر عليوات صديقه المستشار بغلق السلطات العمومية أبواب المسرح الذي يديره بدعوى عدم توفر وسائل الحماية ومخارج الإنقاذ داخله وينطق بالمتناص، مستغربا كيف أن المهندسين الفرنسيين هم الذين شيّدوا المسرح على هذا الأساس ويأتي الآن من يكتشف الأخطاء في هندسة بنائه، ويستبعد أن يكون سبب الغلق كما يقول القرار البلدي هو عدم توفر وسائل الحماية ومخارج الإنقاذ داخله، بل يرى في غلقه أمورا أخرى خفية لم يذكرها القرار، مثل معاداة اتجاه المستشار

الاشتراكي من لدن أعضاء النظام والإدارة الذين حرّضوا الجمهور على إحداث الشغب والتشويش أثناء عرض مسرحية "دائرة الطباشير القوقازية"، وهذا ما جعله يستخفّ بمبرّر الغلق الحكومي الواهي وغير المعقول، والذي يشبه تلك الشّعرة التي ترشد صاحبها إلى الحصول على ما كان يبحث عنه وبالصدفة ودون عناء كما جاء في المتناص. والكاتب قد حوّل معناه الأصلي، فعوض أن يستغلّه في جانبه الإيجابي وهو أنّ الشعرة في قصة المتناص تهدي صاحبها إلى الوصول إلى حاجاته الضائعة، لكنّها في رواية "**تجربة في العشق**" تمثل عدم توفر وسائل الحماية ومخارج الإنقاذ داخل المسرح،والذي يدفع الإدارة العمومية إلى إصدار قرار غلقه فيفقد مديره المستشار منصبه ومركزه، وتضيع مجهوداته الفكرية في سبيل تنوير المجتمع الجزائري وتوعيته، وفي تحويل المتناص من معنى إيجابي إلى معنى سلبي اجتهاد في محلّه من الكاتب في محاولة الاستثمار لعناصر التراث واستغلالها بما يفيد النص الجديد، حتى ولو أدّى ذلك بالخروج عن معنى المتناص الأصلي القديم وتحويله إلى عكس ذلك، كما هو الحال في هذا التوظيف المستحدث له في هذا المقام.

**34- "ننقي الدّود من دُبْر القَرْد"**[102]: القرد من الحيوان الذي يكثر في مؤخرته القراد وهو شبيه بالقمل عند الإنسان فيصعب تنقيته، لأنّه يعضّ كلّ من يحاول أن يخلّصه منه، ويُضرب المتناص لكلّ من يحاول أن يقدّم خدمة لشخص ما أو مساعدته في شأن يخصّه فيلقى منه الرفض والمقاومة.

أثناء عرض مسرحية "دائرة الطباشير القوقازية" سابقة الذكر يندسّ بين المشاهدين للمسرحية مجموعة من المشاغبين ويتوزعون داخل القاعة بإحكام، صبغوا غرابا باللون الأحمر وأطلقوه في المسرح وهتفوا

في وقت واحد بنشيد الأممية الشيوعية، فأخذ الحاضرون في الصفوف الأمامية يغادرون القاعة بصفة احتجاجية مثيرة بل بصورة استفزازية، وتعمّ الفوضى والبلبلة في القاعة. وكان قد سبق عرض المسرحية توزيع مناشير تُدين الحكم وتستنهض الطبقة العاملة للاستيلاء على السلطة بتواطؤ مع الوزير والأجهزة الأخرى. ويجري عقب هذه الحادثة وصدور قرار غلق المسرح، حوار بين المستشار وصديقه الممثل عليوات، الذي يعلن له بمرارة واغتياظ وهو يحتسي الخمرة عن انتهاء عصر النهضة ورفض جسد المجتمع الجزائري للقلب الجديد الذي يريدان زرعه فيه، وينطبق عليهما ما ينطبق على من يريد أن ينظف جسم القرد ويخلّصه مما علق به من حشرات مؤذية وحيوانات طفيلية. وينطوي المتناص الذي نطق به عليوات على شيء من نزعة الكاتب الفكرية التي تتعاطف مع نزعة المستشار الإنسانية، والتي حاول أن يبثّها خلال الرواية بصورة غير مباشرة وبطريقة رمزية موحية.

**35- "يزرَعُون المَلْح في قَرْطَاج"**[103]: الملح، مادة غير قابلة للزرع مثلما تزرع النباتات أو تغرس الأشجار سواء في مدينة قرطاج أو في غيرها. ويضرب المتناص في من يحاول أن يقوم بعمل ما أو نشاط معيّن يستحيل معه تحقيق أي نجاح أو تقدّم.

عقب إغلاق المسرح الوطني الذي مثّل فيه المستشار مسرحية. "دائرة الطباشير القوقازية" كما تقدم، يواصل عليوات الشرب والتحدث إلى المستشار في مرارة واغتياظ في أنّ دعوتهما إلى تطهير الجزائر من الخونة وأعداء الثّورة والعروبة قد باءت بالفشل، وأنّ الوزير وأجهزة النظام حاولوا أن يغيّروا المعتقدات والأفكار الإنسانية التي يؤمنان بها أصلا، بواسطة المغريات وحتى التهديدات، التي باءت بالفشل

وأضحيا كمن يزرع الملح في مدينة قرطاج، وهذا الغناء لهما خارج السّرب حرم أحدهما أن يكون وزيرا أو سفيرا أو على الأقل واليا والآخر عقيدا أو رائدا أو على الأقل صاحب مطعم وخمّارة[104]، ولكنّهما لم ولن يفعلا ذلك. يكاد يكون هذا المتناص تكرارا للمتناص الذي سبقه، فيعيد الكاتب معناه هنا تقريبا، ولعلّه يريد به تأكيد الصورة المأساوية لتجربة بطل الرواية وتعميقها.

**36- "لا حفَرْنا عليك يا جَرْبُوع، ولا نتَقْت"**[105]: ويقال بتعبير آخر هو: **"ما نتَقْت يا جَرْبُوع ما حَكمْنَاك"**[106] الجربوع أصله يربوع، وهو حيوان ثديي ضعيف من القوارض أو القواضم يشبه الفأر قصير اليدين طويل الرجلين، يقتات بالنبات والحشرات وصغار الطيور[107]. يوصف به الشخص لحقارته، نتَقْت : أي خرجت وأصل الكلمة : نتق ينتق إذا خرج من ثقب مخفي عن الأنظار. ويُقال المتناص فيمن يسعى للوصول إلى امرأة ويبذل المستحيل في سبيل ذلك ولكنّه يخيب، وقد تقوله المرأة في إغراء رجل ترغب فيه.

يتواصل الحوار بين المستشار وصديقه عليوات عقب غلق المسرح كما تقدم في الاختيارات الأخرى البديلة التي لو سلكاها لتجنّبا ما هما فيه، ولو أنّهما انكمشا في حيّ القصبة -كما يقول عليوات- بعيدا عن النّاس يسكران ويُدمنان الحشيش والمخدرات حتى الموت لما أثارا حفيظة الوزير وأجهزته الإدارية، ولما أصابهما ما يكرهان، ولا يرجعان خائبين ويكونان على رأي المتناص **"ما خرَجْت يا جَرْبُوع ما حكمْنَاك"**، ويبوح له المستشار أنّه توقّع إيقاف العرض في الجزائر العاصمة، وكان ينوي أن يقيمه في المسارح الجهوية خارج العاصمة مثل: عنابة وقسنطينة ووهران وبلعباس، وبذلك يتفادى غضب الوزير والأجهزة

المعارضة لتطهير الجزائر من الخونة وأعداء الثورة والعروبة، ولكن "سبَقَ السَّيفُ العَذْل"[108] كما يُقال. يسهم المتناص في تشكيل الصراع الفكري بين الشخصيات في الرّواية، وتمرير الخطاب الإيديولوجي من خلاله، غير أن القارئ يحسّ بشيء من الثقل في اصطناع الكاتب أكثر من متناص في صفحة واحدة مثل صفحة (216) ولعّل ذلك يقلّل من قيمة التجميل المستهدف لشكل الرّواية ومضمونها.

**37- "القَاهَا تَبْكِي من هَمّ الرَّجل قَالَ لَهَا اسْكتِي نَتْزَوْجَك"[109]:** يُروى أيضا **"لقاها تبكي من الزواج، قال لَهَا أسِّي نأخذك"[110]**. كما يُقال بروايات أخرى أيضا[111]. والمعنى يُقال فيمن تشكو إليه شيئا تُعاني منه فيعرض عليك الشيء نفسه الذي كان سببا في شكواك كالمرأة التي تُكره على الزواج من شخص فتأخذ في البكاء؛ لأنّها لا ترغب في الزواج البتّة، فيجيء شخص آخر يعرض علّيها الزواج منه أو العيش معه، انتهازا منه للفرصة وذلك لتحقيق مآربه ورغباته.

يقترح صالح رفيق المستشار ومهندس الإنارة على خشبة المسرح أن ينفصلا عن زملائهم الآخرين المنشقين ويكوّنان مع مجموعة من أصدقائهما فرقة مسرحية حيث يتدربون في بيت المستشار ويؤجّرون قاعات العرض، ويتنقّلون من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى قرية ومن عاصمة إلى عاصمة ومن دولة إلى دولة. ولم يجد المستشار شيئا يعبّر به عن رفضه لهذه الفكرة أو الاقتراح أحسن من المتناص المذكور، وقد شرحه بأنه تلزمهم دبابات وطائرات وحدود وعضوية في جمعية الأمم، وأنّه يلزمهم استقلال آخر وأنّ كلّ شيء يمكن أن يُسلّم فيه هؤلاء الحكّام للقطاع الخاص ماعدا وسائل التعبير، لا اللّعب بعشاء السلطة. فالعودة إلى التمثيل مرة أخرى مع انعدام وسائل التعبير وحريته

يكون مصير التجربة، غلق المسرح وتوقيف كل نشاط مسرحي من جديد. تنطبق النظرة للأمور التي ينشدها المتناص الأصلي مع نظرة مبدع الرواية، وهو الرّغبة في الوصول إلى الأجود والأفضل في التعبير عن الهموم والرغبات الشعبية، كما يكشف عن ثروة الكاتب في ميدان التراث الشعبي وتنوع رصيده فيه.

**38- "دَعِي الزِّير بغطَاه"**[112]: الزير هو الجرّة الضخمة، ويُروى أيضا "**خَلّي البِير بغطَاه**"[113]، يقوله الرّجل آمرا محدثه الكّف عن كشف أمر ما لا يرغب البوح به. وقد يقوله شخص على سبيل التهديد في إباحة سرّ محدّثه، وقد ينطق به من لا يريد من أحد أن يَنْبَش عن أمور وذكريات مُؤلمة هي بالنسبة إليه إعادة فتح جروح قديمة، والمتناص نهي بليغ للمتطفّل بالسؤال أو الحديث عمّا لا يعنيه.

فصالح مهندس الإضاءة في المسرح يشكو من أنه بحث داخل الجزائر وخارجها مدة ثلاثين سنة عن امرأة بإمكانها أن تستولي على قلبه ومشاعره مثلما استولت فجرية الخادمة على قلب المستشار فلم يجدها، فتقاطعه وداد "إحدى الممثلات" بأنّه هو الذي لم يفتح عينيه حتى يجدها. وهنا يطلب منها المستشار أن تسكت وتتركه على هواه، ولا داعي لإثارة مواجعه وأشجانه بتذكيره بنقاط ضعفه وبما ينغّص حياته من عيوب ونقائص، ويسوق المتناص تصديقا له. ويُعاب على الرّوائي أنّه قد حوّل المتناص من أصله الدّارج "**خَلّي البِيرْ بغطَاه**" إلى اللّغة الفصحى "**دَعِي الزير بغطَاه**" وهو تحويل في غير محلّه، وخصوصا أنّ المتناص العامي يرمي إلى عدم نزع غطاء البئر للاطلاع على ما بداخله من خبايا كثيرة يصعب عدّها وحصرها، فهو أبلغ و أبعد مرمى من هذه الناحية من الجرّة التي لا تتّسع لاحتواء أشياء كثيرة مثل البئر.

**39- "لا ختَانَة بدُون دَم"**[114]: الختانة هي قطع القُلفة أي الجلدة الزائدة في العضو التناسلي للصبي أو الصبية. والمعنى المراد من المتناص هو أن عملية الختان لا تكون من دون إهدار شيء من الدم في سبيل استئصال الجلدة الزائدة في العضو التناسلي.

عندما يهمّ المستشار مدير المسرح الوطني الدخول إلى إدارة المسرح، يعترض البوّاب طريقه وكان من المعجبين به، و يحفظ جميع أدواره التي مثّلها، فيمنعه من الدخول، لأنّ الأوامر التي أُعطيت له تقول بمنعه من وضع رجله داخل البناية. فقرأ المستشار في عيني البواب وكأنّهما تقولان له ما باليّد حيلة، كما استنتج من وراء نظراته ضرورة الامتثال للأوامر لتفادي تكرار الفوضى التي عاشها المسرح الوطني من قبل والذي أحدث لرجال المسرح جروحا دمويّة في سبيل تحسين الوضع واستقراره؛ لأنّه **"لا ختَانَة بلاَ دَم"**. فالمتناص، تكثيف للمشهد يغني عن السرد المملّ والعمليات الوصفية التي تستغرق إسالة الحبر الكثير لقول الشيء القليل، وهو يحوصل مضمون المشابهة بين وضع قد مضى و بين وضع جديد مختلف يأتي.

**40- "تقُول للكَلْب هَش، وتقُول للسَّارق خُش"**[115]: ويُروى المتناص بأشكال أخرى أيضا[116]. يُقال للمرأة التي تخون زوجها. ويُقال أيضا للمرائي والمنافق ومتعدّد الوجوه والصفات الذي يثير النزاعات بين الناس، الذي يأمر الكلب من جهة أن يهجم على السارق أو يحرّشه على أحد ما، ويأمر في الوقت نفسه السارق أن يدخل وألا يخشى شيئا، فهو بالتعبير الشائع يأكل مع الكلب ومع السارق، ويبدو أنّ هذا المعنى الأخير هو الذي قصد الكاتب إدراجه ضمن روايته.

ينهر مجيد المدير الجديد للمسرح الوطني العمال والموظفين الذين خرجوا من مكاتبهم ليفسحوا المجال للمستشار بالدخول إلى إدارة المسرح، ثم يأمرهم بالعودة إلى مكاتبهم، ويحاول إبعاد المستشار من وسط الضجة التي راحت تكبر وتتسع، ويخرج به بعيدًا عن البناية ويتظاهر في شيء من الخبث والرّياء بأنّ الأمر يتجاوزه، ويستعصي عليه أن يساعده في العودة إلى إدارة المسرح، فيردّ عليه المستشار بالمتناص، والذي ينطبق مضمونه على منافق مثله، له وجه مع المستشار وجماعته بحكم الصداقة القديمة ووجه مع جماعة الوزير والأجهزة الإدارية الأخرى مثل جماعة مسرحية "**دائرة الطباشير الجزائرية**" الرجعية المناهضة لجماعة المستشار وأعضاء مسرحيته "**دائرة الطباشير القوقازية**"، وهي مؤامرة لم تنغلق بعد وهي تُمثل ليس في ليلة واحدة وإنّما على آماد طويلة. يستخدم الكاتب هذه الجزئية التراثية لنقد الوضع الاجتماعي السائد في الجزائر خلال عقدين من استقلالها عبر تصوير سلوك مجيد المدير الجديد المناهض لفكر المستشار الشعبي الإنساني، وقد عبّرت بدقة عن دناءة هذه الشخصية وتلوّنها.

**41- "الغَائب عُذرُه معَه"**[117]: ويُقال أيضا باللغة العامية الدارجة "**الغايب حُجْتُه معَاه**"[118]، والمعنى أنّه لا ينبغي إصدار حكم مسبق على شخص غائب أو لومه وهو غير موجود، وقبل أن يحضر وتُسمع حجته أو يُعرف عُذرُه. والمتناص يُضرب في الاعتذار لتأخّر الغائب وعدم التسّرع في إصدار حكم قبل الاستماع إلى رأيه ومعرفة السبب في ذلك.

عقب انسحاب المستشار من إدارة المسرح الوطني كما تقدّم يزوره شخص مُلْتح[119]، ويشبه العملاء السريين الذين كان يشتغل معهم وينتمي إليهم في الماضي لتكوين الخلايا السرية وتنظيم المواعيد

بعد الغروب، وتلقّي الأوامر والتعليمات وتوزيع المناشير. فتذكّره هيأته بذلك اليوم الذي طُلب منه أن يذهب إلى محطة الأبيار للحافلات في ساحة الشهداء بالعاصمة لمقابلة عميل سري، فيتخلّف هذا الأخير عن الموعد ولا يعرف سبب تغيّبه وعدم حضوره، فيرد على خاطره المتناص الذي ينبّه إلى عدم الخوض في البحث عن الأسباب والمبرّرات المحتملة لهذا الغياب، وإرجاء ذلك حتى يحضر أو تُعرف حقيقة أمره فيما بعد. ويكثر تداول المتناص في الأوساط الشعبية بصورة عفوية تلقائية للتعبير عن مثل هذا الموقف بكلمات قليلة دالة، وقد وُضع في الرّواية في مكانه المناسب، وهو ما يُحبّذ أن يستثمر في الإبداع الأدبي الحديث.

**42- "من لَمْ يشْبَع من القَصْعَة لَن يَشْبَع من لَحْسِهَا"**[120]: أصل المتناص باللغة العامية هو: "اللّي ما يشبَعْش من القصْعة، ما يشْبَعشْ من الحيسْها"[121]. وهو يقال بروايات أخرى[122]. ومعناه أن الذي لا يشبع من الأكل في الصحن الكبير فلن يشبع من مجرد لحس هذا الصحن وهو فارغ. وهو يُطلق على الجَشِع أو الطّمُوح الذي لم يغتن من الخير الكثير ويطمع في الغنى من الخير القليل، ويُقال في كل من لم يحقّق رغباته عندما كانت الظروف مواتية فلا يحقّقها بعد فوات فرصها السانحة.

يرفض المستشار دعوة السيد الغريب الذي زاره في البيت بالانضمام إلى العمل السرّي مع الرفاق من جديد إثر انسحابه من إدارة المسرح، وهو لا يزال فنانا في أعماقه، ولا يرغب في العودة إلى نشاطه السابق في العمل السرّي، وتنظيم المواعيد واللقاءات أو تلقيِّ الأوامر والتعليمات، وأنّ فرص النشاط في ذلك الوقت كانت متاحة على عكس ما هو عليه الأمر في الوقت الحاضر، وهو ما عبّر عنه بالمتناص، الذي

يحوصل مضمون كلام كثير حول انطباق معناه على موقف الشخصية الناطقة به. غير أنّه من الشائع أنّ العامة تنطقه بلغته الدارجة، في حين إنّ الروائي حوّله إلى اللّغة الفصحى أي حوّله من العام إلى الخاص ومن الكثرة إلى القلّة، وفيه شيء من التعسّف ومجافاة الواقع الجزائري، اللهمّ إلاّ إذا كان يهدف إلى توسيع نطاقه ونشره بين سائر الناطقين بلغة الضاد قاطبة.

**43- "مَنْ رَكبَها يَنْكُزُها"**[123]: ينْكُزُها: أي ينْخس الدابة أو يضربها بشيء حادّ الطرف بعود أو نحوه ليحثّها على السير. والمعنى أنّ الذي يمتطي صهوة حيوان ما، فلا يتحرك ما لم يضربه صاحبه بشيء حتى يتجه به إلى المكان الذي يقصده. ينطق المستشار بهذا المعنى في نفسه وهو يستقبل المبعوث الغريب الذي جاء ليستغلّه في تأدية مهام لا تعود عليه بخير، فيرفض العرض الذي تقدم به إليه، وأنّه ليس مستعدا لتحقيق غايات للآخرين، ومن أرادها فليعتمد على نفسه ويستعين بجهده الخاص حتى ينجح في ذلك. ويكشف المتناص الذي تلفّظ به المستشار في مناجاة داخلية عن أصوله القروية وانحداره من بيئة بدوية، والتي يتخذ أفرادها من الحيوان وسيلة لحلّهم وترحالهم ويكثرون من ذكره في أمثالهم وحكمهم.

**44- "مُولَى البَقْرة يُوالِي هرَارْهَا"**[124]: لعلّ المقصود بفعل "يوالي" هو "يلاَوِي" أي يتحمّل صاحب البقرة ويصبر على ما تخلّفه نتيجة إصابتها بإسهال، والمعنى أنّ الذي ينتفع مما تقدّمه له البقرة من حليب ولحم وأشياء أخرى، عليه واجب الإنفاق عليها ورعايتها من تنظيف ومعالجة عند المرض. ويُقال المتناص في الغالب لمن لا يحسن القيام بشؤون زوجته لفقره أو لسبب آخر.

يضرب المستشار هذا المتناص لتأكيد معنى المتناص الذي سبق أن ذكره آنفا، ويُدعّمه وهو ما يعبّر عن معنى واحد تقريباً، وهو أنّ الذي يريد أن ينتفع من امتيازات وحقوق تُقدّم له عليه بالمقابل أداء ما عليه من واجبات وخدمات اتجاه ذلك، وكل شيء بثمن. ويبدو الإفراط في رصّ الكاتب لأربع متناصات كاملة وتكديسها في صفحة واحدة مثل صفحة (234) شيئا من المبالغة، وهي تضعف الرواية أكثر ممّا تقويها.

**45- "كَثْرَة الهَمّ تضَحّك"[125]**: أصله: **"شرُّ الشَّدَائد ما يُضْحِك"[126]**

وفي ذلك يقول الشاعر:

ضَحِكْتُ من البَين مُسْتَعْجِبًا وشرُّ الشَّدَائِد ما يُضْحِكُ[127]

كلمة "الهم" تُناقض كلمة "الضحك" وهي مفارقة عجيبة أن يجتمع الهمّ والضحك في وقت واحد، فعندما تتعاظم الأحزان وتشتدّ وتتعدّد المآسي على الإنسان تدفعه رغما عنه إلى الضحك. ويُضرب المتناص للشدّة التي تأتي في غير وقتها وعلى غير وجهها، فيتعجَّب من موقعها فيضحك المَبْلَوُّ بها.

تقرأ فجرية للمستشار الورقة التي تركها المبعوث الغريب في البيت، والتي يطلب فيها منه الذهاب إلى موعد كائن بساحة الشهداء بالعاصمة لمقابلة شخص مجهول، وعقب الانتهاء من القراءة تصدر منها ضحكة عفوية ساخرة، ثم تردد المتناص. وعندما يسألها عن سبب ضحكها تخبره بأنّها اكتشفت أن المبعوث الغريب بهيئته العسكرية لا يدّل على أنّه ينتمي إلى تنظيم سرّي، وإنّما استخدمته السلطة كطُعْم لاصطياده والإيقاع به بشكل مكشوف.

تصرّف الرّوائي في تعديل أصل المتناص حيث استبدل كلمتي "شرّ" في الأصل بكلمة "**كثرة**" و"**الشدائد**" "**بالهمّ**". ويوحى المتناص الذي ردّدته فجرية نتيجة معرفتها بشتّى العقبات والمؤامرات التي حيكت خيوطها ضد المستشار، ولاكتشافها بوادر مؤامرة أخرى جديدة ضدّه. والمتناص يُسهم في تشكيل الصراع الدائر في بناء جماليات الرّواية وهو موضوع في المكان الذي يقتضيه كلّ من السياق والمناسبة.

**46- "مَا يجِي من الغَربْ مَا يفرَّحْ القَلْب"**[128]: وفي ذلك يقول الشاعر:

"كُل مَايجِي من الشّرْق مِليحْ سوَى الرِّيح دُونِي

وكُل مَا يجِي من الغَرْب دُوني سوَى المطَرْ مِليحْ"[129]

كما يقال المتناص برويات أخرى أيضا[130]. إنّ كلّ ما يأتي من بلدان الغرب شرّ، باستثناء المطر الذي هو خير وبركة، والذي يعيد إلى النفوس الأمل في الحياة على عكس الريح الشمالية والشرقية الحارّة والضارة. فالكاتب يتوخّى قي متناصه المبالغة في نفي كلّ خير يأتي من البلدان الغربية ويتوقّع كل شرّ منها ما عدا المطر المبشر بالخير والبركة.

يشعر المستشار في إحدى الليالي بأثر حمّى وقشعريرة تسري في كيانه فيهذي أثناء النوم، ويحلم بذهابه مع فجرية إلى ميناء قوراية[131] ليخرج بقارب صديق له إلى البحر، فيتذكّر ما قاله له أحد الأصدقاء فيما مضى من أنّ الريح الغربية هي أسوأ ريح، فلما سأله المستشار عن السبب، أجابه كيف ينسى أنّ الأجداد قالوا: "**مَا يجِي من الغرْب مَا يفرَّح القَلْب**". وعندما سأله المستشار أن يبرّر حقيقة معنى هذا القول يهزّ كتفيه ويجيب بأنه لا يعرف أكثر من الأجداد في هذا الميدان. والمتناص الذي

نطق به صديق المستشار يكشف من خلاله عن انتمائه إلى بيئة شعبية محلية بسيطة، تؤمن بموروثاتها ومعتقداتها إيمان العجائز، وكأنّها حقيقة نهائية لا تحتاج إلى اعتراض أو مناقشة.

ونختم دراستنا المتواضعة لرواية "**تجربة في العشق**" وتناصها مع الأمثال الشعبية باستخلاص بعض النتائج التي خرجنا بها من خلال بحث الموضوع، والتي يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- يستشهد المستشار بطل الرواية بالمتناصات (Intertextes) التي يكثر تداولها في البوادي والأرياف، مثل ذكر الحيوانات وهي تكشف عن أصوله الريفية وانتمائه إليها مثل ما هو حال كاتب الرواية أيضا.
- إنّ معظم المتناصات ترد على خواطر الشخصيات أثناء حوارها الداخلي أو مناجاتها مع ذاتها وهو المحور الذي يطبع مناصات الرواية و يُميّزها.
- يكثر تداول المتناصات على ألسنة الشخصيات المتحاورة داخل الرواية، والتي يتفوّه بها أفراد الطبقات الشعبية لما لها من إيقاع موسيقي ومعنى دلالي، حيث تكشف عن همومهم وتطلّعاتهم في ذلك الوقت.
- تضرب المتناصات داخل الرواية في أعماق البيئة الشعبية وتطفح بالسّخرية والاستهزاء، وتكشف كثيرا من العيوب والعورات التي تبدو في سلوك الشخصيات وفي حديثها وحوارها.
- يغلب على المتناصات المستشهد بها الدلالة على النزعة الاشتراكية والنظرة إلى الحياة في جانبها الإنساني أكثر من جانبها المادي.

- إنّ لغة المتناصات المبثوثة في الرّواية نشأت من تزاوج اللغة الفصحى باللّهجة العاميّة الدّارجة، والتي لا تختلف عن الفصحى إلاّ في بعض معاني بعض المفردات وفي مخارج أصوات الحروف وفي اللّكنة المتحدّث بها.
- إنّ معظم المتناصات الموظّفة في الرواية عامية دارجة يكثر تداولها في منطقة الشرق الجزائري على وجه الخصوص.
- ينعدم الصدق عند كاتب الرّواية في تصوير الواقع عندما يتعسّف في إنطاق بعض الشخصيات الأمية بمتناصات فصيحة، وفي ذلك مجافاة للواقع وتشويه للحقيقة مثل: "**الفم المُغلق ما يدخُله ذُبَاب**"، "**ربنا يعطي الفُول لمن لا أضراس له**"، "**من لم يشبع من القصعة، لن يشبع من لحسها**".
- ينطق حضرة المستشار بمعظم المتناصات في الرّواية وفي مواقف كثيرة؛ لأنه المتكلم في أغلب الأحيان ويتلفّظ ببعضها الآخر شخصيات ثانوية مثل: خادمته فجرية وصديقه عليوات ووزير الثقافة.
- إنّ أغلب المتناصات التي وظّفها وطّار في روايته منقولة حرفيا، وليست معدّلة في أصلها من حيث اللّفظ والمعنى، وكذلك الأمر بالنسبة للمتناصات العامية الدارجة.
- التكرار لبعض المتناصات المتقاربة في المعنى ورصّها بجنب بعضها للتعبير عن فكرة واحدة في كثير من الأماكن، وفي صفحة واحدة خلال الرواية مثلما نجده في صفحات: 92، 105، 152، 213، 216، 234.
- إنّ التنويع في اختيار المتناصات التي تخدم أحداث الرواية، هو أهم ما يميز هذه الرواية، فضلا عما أضفته لها من تعددية في المعنى.

- قصّرت بعض المتناصات في التعبير عن بعض المعاني أو المواقف، وبدا التكلّف والتعسف في إقحامها داخل نسيج الرواية، وبالمقابل أكملت كثير منها المعنى الذي كان يتطلبه السياق وأضفت كثيرا من التماسك والانسجام في نسيج الرواية، وهو المقصد الذي ينبغي أن يتوخّاه كلّ مبدعٍ من خلال تفاعله مع جزئيات التراث وإدماج عناصره ضمن نصوصه الإبداعية.

## الهوامش:

1. ولد **وطّار** في 15 أوت 1936 في قرية مداوروش التابعة لولاية سوق أهراس حاليا بشرق الجزائر. درس في قريته ثم في قسنطينة بمعهد ابن باديس، ثم أكمل دراسته العالية بجامع الزيتونة بتونس 1954. انخرط مناضلا في صفوف الثورة التحريرية 1956. وفي عهد الاستقلال أصدر في قسنطينة جريدة (الأحرار) ثم جريدة (الجماهير) بمدينة الجزائر، ثم عمل موظفا في حزب جبهة التحرير الوطني مدة، ثم أُحيل على المعاش في سنّ مبكرة في عام 1984. انصرف بعد ذلك للكتابة والتأليف في القصة والرواية. وقد أصدر عشر روايات حتى الآن. أسّس مع مجموعة من رجال الفكر والثقافة في مدينة الجزائر الجمعية الثقافية (الجاحظية) التي انتُخب رئيسا لها. انظر: " د. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 25، انظر: د. سعيد سلاّم، التناصّ التراثي في الرواية الجزائرية، دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 1998-1999، ص 116.

2. الطبعة الأولى، منشورات عينبال للدراسات والنشر، نيقوسيا، قبرص (د - ت)، الطبعة الثانية، مكتبة الاجتهاد، الجزائر 1989. وهذه الطبعة الأخيرة هي المعتمدة في هذه الدراسة.

Jean DEJEUX, *Dictionnaire des auteurs maghrébins*, Ed, Kharthala, Paris, France 1984, PP 339-340.

3. انظر: رابح خدوسي، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، دار الحضارة، الجزائر 2002، ص 272 – 273.

4. يقول **وطار** إنّه بدأ كتابة الرواية في 1982 وانتهى منها في 1988. انظر: س. رايس، م. الزاوي، "**تجربة في العشق**"، جريدة المساء الثقافي (الجزائر)، 28 فيفري 1989، ص 11.

5. مصطفى كاتب : ممثل ومخرج مسرحي كبير من مواليد 8 جويلية 1920 بسوق أهراس في أقصى الشرق الجزائري. أحبّ الفن منذ صغره حيث بدأ المسرح مع فرقة محي الدين باشطارزي 1937. أسّس عام 1940 فرقة مسرحية هاوية سمّاها "فرقة المسرح الجزائري" نشطت خلال عامي 1941 و 1942. شارك مع فرقته الهاوية في مهرجان الشباب العالمي خلال سنوات: 1951- 1957. وابتداء من عام 1958 أصبح مديرا للفرقة الفنية

لجبهة التحرير الوطني بتونس، التي أخرج لها كلّ الأعمال التي قدمتها وهي: أبناء القصبة 1959، دم الأحرار 1960، الخالدون 1961. وفي عهد الاستقلال أصبح مديرا لفرقة المسرح الوطني الجزائري من 1963 إلى 1972، أخرج خلالها العديد من الأعمال نذكر منها: حسان طيرو 1963، الحياة حلم 1964، الجثة المطوقة 1967 وغيرها قبل أن يُبعد عن المسرح 1972، ثم يُعاد تعيينه مديرا للمسرح الوطني الجزائري 1989 حيث كانت آخر مسرحياته "بايع رَاسُو في قرطاسُو" 1989. توفي يوم 29 أكتوبر 1989 بمرسيليا بفرنسا بعد أن ألمّ به داء عضال. انظر: أحمد بيوض، المسرح الجزائري (1926-1989) منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر 1998، ص 178-179.

6. **تجربة في العشق**، ص 7.

7. المصدر نفسه، ص 19. **ملّس**: صيّر الشيء ليّنا. **بَرْمة** : نوع من القدور يُصنع من الفخار، انظر: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، باريس، فرنسا 1989، ص 150. **كَسْكَاس**: وِعاء يُفوّر أو ينضج فيه الطعام على البخار، انظر: المرجع نفسه، ص 1042.

8. د. محمد عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية بالشرق الجزائري**، جـ 2، دكتوراه دولة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة 1993/1994، ص 188.

9. Mohamed BEN CHENEB, *Proverbes Arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Tome 3, Editeur Ernest LEROUX, Paris, France 1907, P 286, Et Kadda BOUTARENE, Proverbes et dictons populaires Algériens, 2ème Editions, Office des Publications Universitaires, Alger 1986, P 177. **يَسْجَى** : ينجح

10. **تجربة في العشق**، ص 33. **الوَلي**: القريب، المُعين.

11. انظر:

Mohamed BEN CHENEB, *Proverbes Arabes de l'Algérie*, Tome 2, Editeur Ernest LEROUX, Paris, France (sans date) P 292.

رابح خدوسي، **موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية**، ص 136، د. محمد عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية بالشرق الجزائري، ج2، ص 13، 248.

12. عبد الله البردوني : شاعر يمني كفيف، استُدعي لزيارة الجزائر بمناسبة السنة الدولية للمعوقين. له دواوين شعرية كثيرة منها: **من أرض بلقيس** 1961، **وفي طريق الفجر** 1967، **ومدينة الغد** 1970، **ولعيني أُم بلقيس** 1973، **ووجوه دخانية في مرايا اللّيل** 1977، **وزمان بلا نوعية** 1979، **وترجمة رملية لأعراس الغبار** 1983. ومن كتبه: **رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه** 1972، **وقضايا يمنية** 1978، **فنون الأدب الشعبي في اليمن** 1981، **واليمن الجمهوري** 1983.

13. **تجربة في العشق**، ص 32.

14. المصدر نفسه، ص 34.

15. أحمد تيمور، **الأمثال العامية**، ص 43 رقم 248، أحمد السباعى، **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز**، الكتاب العربي السعودي، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية 1981، ص 76.

16. **تجربة في العشق**، ص 41.

17. المثل من المحفوظ الشخصي لكاتب هذه الدراسة. **اللّي** : الذي، شاف : رأى، شاهد، **مية**: مائة.

18. **تجربة في العشق**، ص 64.

19. أحمد تيمور، **الأمثال العامية**، ص 42 رقم 247، أحمد السباعي، **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز**، ص 76.

20. تيمور، **الأمثال العامية**، ص 43.

21. **تجربة في العشق**، ص 70.

22. المصدر نفسه، ص 70، 187.

23. تيمور، **الأمثال العامية**، ص 408 رقم 2429.

24. أبو بكر الخوارزمي، **الأمثال**، ص 33، د. محمود إسماعيل صيني وآخرون، **معجم الأمثال العربية**، مكتبة لبنان، بيروت 1996، ص 66 رقم 480.

**25.** عبد الحميد بن هدوقة، **تجربة في العشق**، ص 77، أمثال جزائرية، ص 183، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ2، ص 118.

**26.** Kadda BOUTARENE, *Proverbes et dictons populaires Algériens*, 2e Ed, P 50.

**27. تجربة في العشق**، ص 77. **بَقّ** : احتفظ وادّخر. **يلَقّي**: يجد.

**28. للمثل قصة**: وهي أنه في يوم من الأيام نتيجة حادثة أراد سلطان المدينة أن يتخلّص من صديق له، فأرسله إلى عامله بمنطقة أخرى وسلّمه رسالة بذلك. وقال له سلّمها بنفسك للوالي وكان في الرسالة: "بمجرد وصول حامل رسالتي هذه اقطع رأسه" وعندما كان ذاهبا وجد في طريقه حفلا فدعاه أهله لحضوره، وأخبرهم بمهمته فقالوا له: نُرسل شخصا بذلك وابق معنا، وكان هؤلاء قد قدّم لهم جميلا ذات يوم فبقى عندهم، ثم بعد أيام علم أنّ من أُرسِل مكانه قد قُتِل، وعندها تذكّر قولة الحكيم الذي قال له المثل من قبل "بَقّ والزمَان يلَقّي". وعرف أن ثقته بالسلطان كانت في غير محلّها وأن الفرح الذي وجده بالطريق و لم يتركه يذهب، كان سببا في نجاته وأنّ عمل الخير لا يلبث أن يجده صاحبه. انظر: د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ2، ص 275.

**29.** البيت الشعري من معلقة طرفة بن العبد، انظر: الزوزني، **المعلقات السبع**، ط2، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان (د.ت) ص 95.

**30. تجربة في العشق**، ص 91، وقد تكرّر المثل نفسه داخل الرواية في صفحة 95.

**31.** الميداني أبو الفضل أحمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، جـــ1، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان 1996، ص 294-295 رقم 868، د. عفيف عبد الرحمن، قاموس الأمثال العربية التراثية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 1998، ص 217 رقم 3175.

**32.** تجربة في العشق، ص 92. **أقّين**: يتقيّن أي يقوم بالغناء.

**33. الخوارزمي**، الأمثال، ص 72 رقم 650.

**34. انظر: الخوارزمي**، الأمثال، ص 72 رقم 650. ، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ 2، ص 312، عبد الرحمن بدوي إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين، دار المعارف بمصر، القاهرة 1962، ص 321.

**35.** انظر: تجربة في العشق، ص 92، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ2، ص 163، **الدَّاب**: الحمار. **مولاه**: مالكه.

**36.** أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال**، جـــ1، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان (د.ت) ص 110 رقم 102، **د.** محمود إسماعيل صيني وآخرون، **معجم الأمثال العربية**، ص 27 رقم 193. **الحَابِل**: الصائد بالحبال أي الشبكة. النَّابِل: الرامي بالنّبال.

**37.** **تجربة في العشق**، ص 92.

**38.** د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 118.

**39.ألف ليلة وليلة**، جـــ1، موفم للنشر، الجزائر 1988، ص 398.

**40.** **تجربة في العشق**، ص 93.

**41.** BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 2, P 132. N° 1332.

**42.** انظر: د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ2، ص 71، 79، تيمور، **الأمثال العامية**، ص 136 رقم 810. وابن هدوقة، أمثال جزائرية، ص 143 رقم 345.

**43.** الميداني أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، جـــ1، ص26-27 رقم 35.

**44.** المرجع نفسه، ص 88 رقم 217.

**45.** **تجربة في العشق**، ص 101. **يَرْشَم** : يُسجل، يقيّد.

**46.** المثل من رواية المرحوم الصديق الأستاذ الدكتور بلقاسم درارجة، جامعة الجزائر 31 جويلية 2001.

**47.** أذن المستشار لسائقه الخاص—والذي يمتهن بصورة حرّة مهنة بنّاء مقاول أيضا — أن يتغيّب مدة أسبوع لينهي بناء ما بقى له من هيكل فيلا أحد الزبائن. انظر: **تجربة في العشق**، صفحات: 95 – 98.

**48.** المصدر نفسه، ص 105.

**49.** د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 98. **إيروح**: يذهب، **لَلّي**: للذي، **ماعندوش**: ليس له، لا يملك اسنانو: جمع أسنان أو السنِّين.

**50.** انظر : BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 1, P 74, N° 858 والسيدة الأعور فضيلة والدكتورة بامية عايدة، **المثل الشعبي، فكر وفن (أمثال مدينة عنابة)**، الدراسة باللغتين: العربية والفرنسية، مجلة مركز الدراسات والأبحاث الخاصة بالتنمية الجهوية، عنابة، الجزائر (د.ت) ص 69 رقم 254، وابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 85 رقم 172. Boutarene, *Proverbes et Dictons*, P 17, N° 22

**51. تجربة في العشق**، ص 105. الأبيار وحيدرة: حيّان راقيان، يقعان بأعالي مدينة الجزائر العاصمة.

**52.** BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 2, P 247, N° 1686.

**53.** الأعور فضيلة والدكتورة بامية عايدة، **المثل الشعبي، فكر وفن (أمثال مدينة عنابة)**، مجلّة مركز الدراسات والأبحاث، عنابة، ص 60 رقم 189. **خُوذْ**: خذ.

**54. انظر**: BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 2, P 247, N° 1687, P248, N°1689، والأعور فضيلة، د. بامية عايدة، **المثل الشعبي، فكر وفن**، مجلة مركز الدراسات عنابة، ص 55 رقم 154. د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ 2، ص 101.

**55. تجربة في العشق**، ص 105.

**56. ساحة بور سعيد**: كانت تُعرف من قبل " **بالجنينة** " وهي قريبة من ساحة الشهداء بمدينة الجزائر، ويوجد بها المسرح الوطني الجزائري.

**57.** المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

**58.** المصدر نفسه، ص 150.

**59.** تيمور، **الأمثال العامية**، ص 210 رقم 1219. **مُوشْ** : ليس. **زَيْ**: مثل. **طُلُوعُه** : الخروج منه.

**60. تجربة في العشق**، ص 152.

61. خدوسي، **موسوعة الجزائر في الأمثال**، ص 84 رقم 1157، د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـ 2، ص 58.

62. انظر : BOUTARENE, *Proverbes et Dictons,* P176, N°616 ، ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 105 رقم 232 ، تيمور، **الأمثال العامية**، ص 284 رقم 1673.

63. **تجربة في العشق**، ص 152. **حذام**: اسم علم لامرأة جاهلية يمنية، يُضرب بها المثل في حدّة البصر وصدق الخبر، يُروى أنها شعرت مرة بخطر العدو لما رأت أسراب القطا، فحذّرت قومها وصدق تحذيرها فنجوا.

64. الميداني، **مجمع الأمثال**، جـ2، ص 499 رقم 2890، **د. عفيف عبد الرحمن**، **قاموس الأمثال العربية التراثية**، ص 331 رقم 4752.

65. **تجربة في العشق**، ص 152.

66. المصدر نفسه، ص 153. **الدوّار**: هو الدشرة أو القرية.

67. الخوارزمي، **الأمثال**، ص 21 رقم 62، **د.** محمود صيني، **معجم الأمثال**، ص 57 رقم 420.

68. انظر: تيمور، **الأمثال**، ص 259 رقم 1522، ص 398 رقم2365، ص 409 رقم 2438، المرجع نفسه، ص 409 رقم 2436 .

69. تجربة في العشق، ص 153.

70. المصدر نفسه، ص 170.

71. **جربة**: جزيرة تونسية في خليج قابس بولاية مدْنين. كان فيها مركز تجاري فينيقي. سُميت في (الأوديسا لهومير) بجزيرة "آكلي زهرة اللّوتس" وقيل: إنّ من يأكل هذه الزهرة ينسى وطنه ولا يعود إليه، وأوليس (ULYSSE) هو الوحيد بين مرافقيه الذي امتنع عن أكلها فاستطاع النجاة والعودة إلى وطنه أثينا (ATHENES) باليونان. أصل سكانها من البربر وينتمون إلى فرقة الخوارج الإباضية. انظر:

Michel, MOURRE, *Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire*, Tome 3, Ed, BORDAS, Paris, France 1986, P 1423.

72. **الإباضيون:** هم فرقة من معتدلي الخوارج في البصرة والكوفة، تُنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي (توفي 86 هـ/705م) فقيه، كان مُعاصرا لمعاوية وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان (26 هـ - 646 م / 86 هـ - 705 م). عمّرت الإباضية طويلا وانتشرت في أرجاء مختلفة. وهناك إباضيون حتى اليوم في عُمان والجزائر وزنجبار وغيرها. والإباضية لا تقول بكفر غير الخوارج ولا بشركهم، وتبيح الزواج منهم. ترى ضرورة الإمامة بناء على اختيار الشيوخ وأهل الرأي. انظر: محمد شفيق غربال وآخرون، **الموسوعة العربية الميسرة**، دار الشعب، القاهرة، مصر 1965، ص 1.

73. **تجربة في العشق**، ص 186، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـ 2، ص 224.

74. تيمور، **الأمثال العامية**، ص 421 رقم 2516. **البوصة:** القصبة، أي العود من نبات الذرة.

75. المرجع نفسه، الصفحة نفسها رقم 2517.

76. يقول الجاحظ: **"إنّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّرُ اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطّبع وجودةُ السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج (الصبغ) وجنس من التصوير".** كتاب الحيوان، جـ3، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر 1938، ص 131-132. فالجاحظ يرى أنّ أحسن الكلام هو ما كان معناه في ظاهر لفظه. ولا يتمّ ذلك إلاّ بالمزاوجة بين المعنى الشريف، واللّفظ البليغ بأسلوب قويّ محكم، والشعر صناعة لا تقوم على المعنى وحده. فالمعاني مطروحة في الطريق وفي متناول الجميع. وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللّفظ. لكن لا ينبغي أن يُفهم من هذا، أنّ الجاحظ قد أهمل المعاني واستهان بها، وإشادته باللّفظ لا تعني أنّه يقدّمه على المعنى، لأنّه كان يرى في المعاني أنّها تحلّ من الألفاظ محل الروح من البدن.

77. **تجربة في العشق**، ص 186.

78. المصدر نفسه، ص 203. **افتل:** أضفر، أبرم. **شكال:** قيد، حبل.

79. تيمور، **الأمثال العامية**، ص 468 رقم 2817. **دقّنه:** لحيته.

**80.** ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 216 رقم 581.

**81.** BOUTARENE, *Proverbes et Dictons*, P 273, N° 975, BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 3, P 288- 289, N° 2993.

**82.** **تجربة في العشق**، ص 207.

**83.** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المعجم العربي الأساسي**، ص 450. استجيدوا: اختاروا النسل الجيّد. ويُروى المثل أيضا "العِرْقُ نزّاع" أي نزع عرق الأصل وقلبه إليه. انظر: البخاري أبو عبد الله، الألفة المختارة من صحيح البخاري، جـ 8، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر 1965، ص 35-36.

**84.** انظر: تيمور، **الأمثال العامية**، ص 320 رقم 1884 ، ص 320 رقم 1887.

**85.** **تجربة في العشق**، ص 212، وقد تكرّر المثل للمرة الثانية في الرواية في صفحة 221. والمثل موجود في: تيمور، **الأمثال العامية**، ص 340 رقم 2014، أحمد السباعي، **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز**، ص 57.

**86.** **دائرة الطباشير القوقازية**: مسرحية ألفها (بريخت) بين عامي (1943 و 1945) عرضها المسرح الوطني الجزائري في موسم 1969–1970، ونالت الجائزة الأولى في مهرجان قرطاج بتونس 1971، تعالج المسرحية موضوع ملكية الأرض والإصلاح الزراعي. تجري أحداثها في إحدى مدن الاتحاد السوفياتي قديما. فعند عودة الحكومة الشرعية لحكم البلاد يصدر الحاكم أمرا بإبقاء "أزْدَاك" قاضيا، وتعرض عليه زوجة الحاكم قضية استرجاع طفلها، ولحسم الأمر يرسم القاضي بالطباشير دائرة على أرضية المحكمة يضع في وسطها الطفل، ويقضي بأن يكون الطفل لمن ينتزعه بالقوة من داخل الدائرة، وهكذا تفوز الخادمة بالطفل الذي ربّته في ختام المسرحية. وتريد المسرحية تكريس قاعدة العدالة وهي أنّ الأطفال لمن تتوفّر فيهنّ صفات الأمومة والعربات لمن يحسن قيادتها والأرض لمن يخدمها. انظر: مخلوف بوكروح، ملامح المسرح الجزائري, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 51-52.

**87.** انظر: **تجربة في العشق**، ص 210.

**88.** أبو الوليد مسلم، **صحيح مسلم**، جـــ1، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة، مصر (د - ت)، ص 39.

**89.** **تجربة في العشق**، ص 213. **بُوسُو** : قَبِّلْه.

**90.** تيمور، **الأمثال العامية**، ص 58 رقم 347.

**91.** انظر: خدوسي، **موسوعة الجزائر في الأمثال**، ص 67 رقم 910 ، تيمور، الأمثال العامية، ص 58 رقم 346، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ2، ص 74.

**92.** **تجربة في العشق**، ص 213.

**93.** د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 164.

**94.** انظر : BEN CHENEB, *Proverbes Arabes,* Tome 1, P 257, N° 805 ، د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 278.

**95.** **تجربة في العشق**، ص 213.

**96.** المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

BOUTARENE, *Proverbes et Dictons*, P 130, N° 445, BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 1, P 153, N° 497.

**97.** انظر: خدوسي، **موسوعة الجزائر في الأمثال**، ص 12 رقم 88، د.عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ 2، ص 136،

BOUTARENE, *Proverbes et Dictons,* P 130, N° 445, BEN CHENEB *Proverbes Arabes,* Tome 1, P 153, N° 497.

**98.** **بريخت:** شاعر وكاتب مسرحي ألماني (1898-1956) أعلن انحيازه للفقراء والعبيد والجياع. عمل كخصم عنيد للنازية، فهجر ألمانيا عندما تسلم (هتلر) الحكم وغاب عنها حتى عام 1948. من زعماء التعبيرية في المسرح الألماني. صاحب مدرسة: "الابتعادية" وهي نظرية ترى أن المسرح وسيلة للتعليم لا للتسلية. وكان يحلم بثورة الإنسان ضد اغترابه، وزيف الحقيقة، وانهيار القيم الأصيلة للمجتمع، وخراب الروح والذات في مستنقع المال والثراء، ولذلك كان يدعو دائما إلى الثورة ضد هذا الزيف.

من مسرحياته المشهورة: طبول في الليل 1922 وأم شجاعة وأولادها 1941 وحياة قاليلي 1947. انظر: عليّ عبد الفتاح، **أعلام في الأدب العالمي**، مركز الحضارة الغربية، دون مكان 1999، ص 279-280.

**99.** **تجربة في العشق**، ص 215. **كِيفْ**: عندما. **تروح**: تذهب. **وللمثل قصة**، هي: أنّ أميرا ذهب خاطباً ابنة ملك وكان محملا بالهدايا الثمينة في قافلة. فقطع نهرا ولكن السيل القويّ أخذ منه كل هداياه ونجا بنفسه، وعندما عاد بزوجته من بلاد صهره مرّ على نفس النهر، فوقف ليشرب حصانه فعلقت به شعرة لم تتركه يشرب فتتبعها حتى أوصلته إلى ما فقده. د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 99.

**100.** شهاب الدين الأبشيهي، **المستطرف في كلّ فن مستظرف**، جـــ1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان 1999، ص 66.

**101.** انظر : خدوسي، **موسوعة الجزائر في الأمثال**، ص 124 رقم 1748، تيمور، **الأمثال العامية**، ص 482 رقم 2901 BOUTARENE, *Proverbes et Dictions*, P 13, N° 3.

**102.** **تجربة في العشق**، ص 216. **دُبر**: مؤخرة الشيء.

**103.** المصدر نفسه، الصفحة نفسها. **قرطاج أو قرطاجة** (CARTHAGE): هي اسم مدينة قديمة على شبه جزيرة صغيرة في خليج قرب مدينة تونس الحديثة. اشتقّ اسمها اللاّتيني من اسمها الفينيقي، ومعناه "مدينة جديدة". أسّسها فاتحون من مدينة صور بلبنان في القرن التاسع قبل الميلاد. ويُقال إنّ الرومان زرعوا الملح في مدينة قرطاج – حتى لا ينبت فيها شيء من الزرع والنبات انتقاما من سكانها المقاومين لهم، وذلك عقب الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م) التي انتهت بالقضاء على قوة قرطاجة وتدمير المدينة ذاتها. وقرطاج اليوم إحدى ضواحي مدينة تونس، ولا تزال توجد بها بعض بقايا المدينة القديمة. انظر: محمد شفيق غربال وآخرون، الموسوعة العربية، ص 1375.

**104.** انظر: **تجربة في العشق**، ص 215-216.

**105.** المصدر نفسه، ص 216.

**106.** د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 131. **حكَمْنَاك** : مسكناك.

**107.** انظر : شفيق غربال وآخرون، **الموسوعة العربية**، ص 1980، أحمد أبو سعد، قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية، مكتبة لبنان، بيروت 1987، ص 248.

**108.** الميداني، **مجمع الأمثال**، جـــ 2، ص 97 رقم 1763، الأبشيهي، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، جـــ 1، ص 56.

**109. تجربة في العشق**، ص 218.

**110.** ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 180 رقم 447، **أسِّي**: اسكتي.

**111.** انظر: د. عيلان، **الأمثال والأقوال الشعبية**، جـــ 2، ص 211 ، 290 ، خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال، ص 156 رقم 2286.

**112. تجربة في العشق**، ص 218.

**113.** ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 74 رقم 137، خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال، ص 51 رقم 684، الأعور، د. بامية، المثل الشعبي (أمثال مدينة عنابة)، مجلة مركز الدراسات ، عنابة، ص 75 رقم 299.

**114. تجربة في العشق**، ص 221.

**115.** المصدر نفسه، ص 222. **هَش** : تُقال الكلمة لزجر الطير والبهائم. **خُش**: ادخل.

**116.** انظر: BOUTARENE, *Proverbes et Dictons*, P 229, N° 811، ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 156 رقم 376، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ 2، ص 143. **كَسّ**: اسم فعل لزجر القط.

**117. تجربة في العشق**، ص 234.

**118.** شهاب الدين الأبشيهي، **المستطرف في كل فن مستظرف**، جـــ 1، ص 57، تيمور، الأمثال العامية، ص 345 رقم 2039، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـــ 2، ص 255.

**119.** انظر: **تجربة في العشق**، ص 232.

**120.** المصدر نفسه، ص 234. **الجفنة أو القصعة**، القصعة جمع قصاع: وعاء كبير يُتخذ لعجن الكسكسي وللأكل الجماعي. وكان يُصنع من الخشب أو الطين غالبا. **لحسها**: اللحس، اللعق: أخذ ما علق بجوانب الصحن ونحوه بالإصبع أو اللسان.

**121.** الأعور، د. بامية، **المثل الشعبي**، مجلة مركز الدراسات، عنابة، ص 38 رقم 31. **شبَعْش**: شبع.

**122.** انظر: BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 3, P 290, N° 3002، ابن هدوقة، **أمثال جزائرية**، ص 195 رقم 508، ص 195، رقم 509، خدوسي، ابن هدوقة، **موسوعة الجزائر في الأمثال**، ص 152 رقم 2216.

**123.** **تجربة في العشق**، ص 234.

**124.** المصدر نفسه، الصفحة نفسها. **مُولَى**: صاحب، **هرارها**: إصابتها بالإسهال.

**125.** **تجربة في العشق**، ص 235.

**126.** الخوارزمي، **الأمثال**، ص 262 رقم 1977، يُروى المتناص أيضا: "شرّ المصائب ما يضحك".

**127.** العسكري، **جمهرة الأمثال**، جـ 1، ص 554 رقم 1018.

**128.** **تجربة في العشق**، ص 241.

**129.** دُونِي: دنيء، رديء. BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 2, P 190, N° 1514

**130.** انظر: BEN CHENEB, *Proverbes Arabes*, Tome 2, P 254, N° 1709, Tome 3, P273, N°2921 السباعي، **الأمثال الشعبية**، ص 84، د. عيلان، الأمثال والأقوال الشعبية، جـ2، ص151.

**131.** **ميناء قوراية**: يقع غرب مدينة الجزائر، ويبعد عنها بحوالي 182 كيلوميترا، وهو يبعد عن مدينة شرشال غربا بـ 32 كيلومترا.